داستان

(مسابقة يافي للقصة القصيرة ~ الموسم الأول)

مجموعة مؤلفين

باقي
للنشر والتوزيع

المدير العام / أسماء محمد نافع
مدير النشر / محمد عبدالرازق

رواية: داستاي

تأليف: مجموعة مؤلفين

مجموعة قصصية

مراجعة لغوية: دز دعاء السيد

التنسيق الداخلي: صبرينة غلمي

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

رقم الإيداع: ٧٦١٩

تدمك: ٩٧٨/٩٧٧-٦٧١٨-٠٠-٥

جميع حقوق محفوظة ©
لا يجوز، دون الحصول على إذن خطي من الناشر،
استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا المصنف، أو استنساخها
أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة
إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام
أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any electronic or mechanical means, including information storge and retrieval systems, without permission in writing from the publisher,except by reviewers, who may quote brief passages in a review

الإهداء

إلي المبدعين في كل بقاع الأرض

الكلمة شرف وحروفها أمانة ، فاحفظ كلامك ، يعلو مقامك

أشواك الزنبق

- من منا لا يحلم بالقضاء على مصدر ألامه، أحزانه، وخيبة أمله، دون أن يصبه سوء من جراء ذلك!

كنت أتابع صوتها الذكوري من خلف الأبخرة المتصاعدة من مبخرتها بلا مبالاة مغلفة بحزن، وقد أصبحت تلك اللامبالاة الحزينة هي نهجي في الحياة، إلا أنني فجأة تخليت عنها؛ لحظة أن شممت تلك الرائحة المألوفة لدي و التي عبقت الغرفة، تَلفّتُ حولي باحثة عن مصدرها وأنا أهمس:

- الزنبق الأبيض!

ليدهمني صوته قادما من حنجرة الغجرية:

- دائما ما تُذكّرينني بالزنبق الأبيض في صفائه وجماله..

ارتسمت على وجهي علامات الهلع وأنا أنظر إليها، إلا أنها استقبلت هلعي بابتسامة مخيفة زادتني هلعًا، ثم أمرتني بحزم:

- انظري..

كانت تشير إلى بلَّوْرة أمامها بها ماء شديد الصفاء، لكنها ما أن تمتمت عليها ببضع كلمات لم أعِ معناها، حتى تعكر صفو الماء و فار، وامتلأت البِلَّوْرة بما يشبه الضباب تتخلله أطياف متراقصة لثلاث

ساحرات؛ إحداهُنَّ تتشح بوشاحٍ أبيض، نَظرْتُ للغجرية بغضب وثبات وأنا أقول:

- نعم، هُنَّ!

- وهل أنتِ متأكدة مما تريدين فعله؟!

جذبتني الذكرى..

- حبيبي اهتمام أهلك بمسألة الإنجاب مبالغ فيه، لم يمضِ على زواجنا سوى بضعة أشهر .

- إنها العادات، لا تعيريهم اهتمامًا ،فلا شيء عندي أغلى من زنبقتي!

نظرت لها بحزم:

- افعلي!

جَذبت يدي إليها بقوة وهي تتمتم بطلاسمها، وإذ بوخزة في إبهامي جعلتني أنتفض، ثم أراها تُسقِط ثلاث قطرات من دمي على البِلَّوْرة، لتُلقي إليّ بيدي بعنف معلنةً عن انتهاء الجلسة، نظرتُ لها متوجسةً وأنا أنفحها المال، لكني مضيت دون أن أنطق بكلمة.

وفي طريق العودة لبيتي؛ وردني اتصال جعلني أغير وجهتي.

دخلت قاعة الاستقبال بالمستشفى في هدوءٍ وثبات لا يتناسبان مع الموقف، لأجده منهارًا بملابس العرس على أحد المقاعد واضعًا رأسه

بين راحتيه، اقتربت منه بنفس الهدوء فغمره عبير الزنبق المنبعث مني، التفتَ إليّ بأعين تملؤها الدموع، وبصوت يغالب البكاء؛ قائلًا:

- لم ينجُ أحد سواي، ثلاثتهُنَّ مُتن على أثر الحادث، أمي، أختي وابنة عمي، هذا ذنبُك!

ثم ارتمى في حضني كطفل صغير جاهشًا بالبكاء، أخذت أُربت على شعره بينما أقول له وقد عدت للامبالاتي الحزينة:

- حبيبي، أنا حامل!

تمت

بقلم / رشا فوزي

قصة / بشري..

كان يسير وحيدًا في غابة كثيفة بعد أن قرر اعتزال عالم البشر، لقد آذوه حتى ملَّ الحياة، ليس معه زادًا لرحلته المجهولة، إلا علبة تحوي لفافات تبغ وقداحة، كان كالكثيرين يتوهم أن التدخين يريح أعصابه، أخذه التعب فقرر الاستراحة تحت شجرة، وغط في نومٍ عميقٍ مستظلًا بأفرع الشجرة وأوراقها، حين أفاق بعد فترة طويلة مريحة كان نشيطًا ومرتاح البال وخالٍ من الهموم، لقد وجد سعادته في العزلة، إلّا أن شيئًا يُنغص عليه هناءه، أحس بأنه رغم سعادته إنما ينقصه شيءٌ ما، ربما وجود أحدهم بجانبه، أو حتى كائنًا من غير البشر، وبعد فترة لم تلمح عيناه فيها أي حركة، رأى سِربًا من العصافير يحلق في الفضاء، فتمنى لو أنه عصفور، فهذه المخلوقات تحلق بحرية في مجموعات منتظمة، إنهم عائلة واحدة، و رغم كثرة عددهم؛ إلا أنهم يَحيَون بمحبة، ويحرص كل منهم على حياة الآخر قبل حياته، ولا يعرفون القتل والظلم والحقد.

كان في ذيل السِربِ عصفورٌ رمادي اللون، صغير وضعيف ويبدو أنه كان يتعلم التحليق حديثًا، لقد تعب هذا العصفور وهوى إلى الأرض وهو يصارع الموت ويقاوم السقوط بكل طاقته، إنما جناحاه لم يساعداه، فلا يزالان ضعيفان، حملق فيه البشري وانتابه شعورًا بالعطف عليه - رغم أنه كان قد فقد الإحساس بالحياة- إلّا أنه أشفق على العصفور، كان شعورًا بالشفقة ممزوجًا بمكرٍ وسعادة، سوف يتخذ هذا المخلوق الضعيف أنيسًا له، كان يريد من أحد أن يلملمه ويجمع شتات نفسه،

راقَبَه جيدًا؛ فشاهده يسقط على أحد أفرع شجرة قريبة فوثب لنجدته -في واقع الأمر وثب لنجدة ذاته الشريدة الوحيدة- أمسك بالعصفور الضعيف الذي لم يقوَ على التحرك والتملص من يديه، وكان جريحًا بفعل السقوط، أخذه تحت الشجرة وبدأ في تهدئته فقد كان العصفور ينتفض خوفًا، استمر في تهدئته، تارة يملس على ريشه الصغير، وتارة أخرى يحركه في الهواء كأنه يطّيره وهو ممسك به، بعدما شعر بأنه اطمأن له؛ وضعه على الأرض برفق وتركه، فلم يحاول العصفور التحليق والهرب، بل ظل هادئًا ينظر في عيون البشري، الذي التقط بعضًا من أوراق الشجر وغطاه بها حمايةً من حرارة الشمس، ووضعه عند الشجرة وراح يبحث عن شيئ ليضمد به جرحه، عاد بعد مدة ووجده في مكانه ملتزمًا الهدوء، تحمس كأنه يريد الطيران عندما رآه وصار يزقزق، ضمد له جرحه وغلبه النعاس فنام، أفاق فوجده فوق صدره نائمًا هو الآخر وقد تحسنت حالته، ظلا سويًا برفقة بعضهما لمدة يوم، وأثناء الليل كان البشري قد جاع ولم يجد شيئاً أمامه إلا العصفور، راح يجوب الغابة بحثًا عن شيئ فلم يجد، عاد لعصفوره وبدأ ينظر إليه نظرة مفترس، أمسكه وراح يتحسسه كمشترٍ يتحسس ماعز ليضحي بها، ارتاب العصفور وشعر بأن حياته على وشك الفناء، همَّ البشري لإشباع جوعه ونسي أن هذه الضحية كانت سببًا في أنسه وسعادته، وأنه قد سلَّم نفسه له وسكن في روحه المنعزلة الضائعة.

عصفورٌ صغيرٌ أعاد إليه بعضًا من وجوده وكينونته، لم يتركه من يده وهو يبحث عن قشٍ ليشويه، جمع قشًا كثيرًا لكي يرمي العصفور بداخله ويشعل النار كي لا تأخذه به شفقة، كان جائعًا؛ إنما للقتل والخيانة، لغرائز البشر التي هجرهم بسببها، جاء بحجرٍ صخري مسنن وأخرج

قداحته فتأكد العصفور بأنها النهاية، عندها راح يتحرك ويلامس رفيقه من كل مكان في جسده، ويهفهف على وجهه بجناحيه ليخفف عنه حرارة الجو، ويقف على رأسه ويغلغل رجليه داخل خصلات شعره بنعومة، كان يطير ويبعد عنه مسافة متر ثم يعود إليه، مع إمكانية تحليقه إنما لم يهرب، كرر هذه الفعلة عدة مرات كأنه يقول له انظر، بإمكاني الهروب لكنني أفضل البقاء معك، وأن ما يزعجني ليس الموت، إنما فراقك، ولست حزينًا لأنني سأُقتل.. بل حزني لأنك ستكون قاتلي، ما يحز في نفسي أن من أخشى فراقه هو من أعد للفراق، بل إنه سيقتلني لإشباع ملذاته، في الأخير عزم أمره واستسلم لمصيره المحتوم، سكن مطأطئ الرأس بجوار القش منتظرًا نهايته، مر سِرب طيور في السماء فقرر العصفور التخلي عن رفيقه فراح يحرك جناحيه، هنا رمى البشري بالقداحة وفرق جمع القش وأزاح الحجر بعيدًا، هدأ العصفور فقد فهم أن رفيقه لن يؤذيه.

لم يكن حريصًا ذلك العصفور، ولم يعاشر البشر طويلًا ليعلم طباعهم، اختفى السِّرب المحلق ورضي العصفور عن قناعة بحياته الجديدة في صحبة ابن آدم، أمسك البشري به وأحكم قبضته عليه وجمع قشه وجاء بحجرة، والتقط قداحته.. وبكل قوة وضع رأسه على جذع شجرة وهوى بالحجر الصخري المسنن على رقبته؛ فطير رأسه ثم رماه في كومة القش وأضرم فيه النار، أكله بشراهه وعاد وحيدًا لكنه شبع، بعد نصف ليلة ونهار وعند ظهر اليوم الثاني جاع ثانيةً، شعر بالجوع والوحدة وبالأشياء الكثيرة التي تنقصه من متع الحياة ورفاهيتها، لكنه لم يشعر بندم أو خيانة للعصفور، لم يشعر بنذالته معه، كل ما دار في رأسه تساؤل: هل في قلبه رحمة! .. ربما أحزنه ذلك قليلًا، شعوره بانعدام

الرحمة في قلبه، وهمِّه بتقمص أدوار الخيانة والشر قد أحزناه وأسعداه في آن واحد، فالآن فقط بمقدوره العودة للبشر، فقد صار بارعًا، خاض تجربة أظهرت مواهبه التي ستمكنه من الحياة بينهم، لم يعد بحاجة للعزلة فلقد صار يتمتع بالأشياء التي غادرهم بسببها، قال لنفسه الآن تساوينا وعليّ العودة.

لم يعد يحتاج لأحدٍ أن يلملمه، شعر بأنه يمتلك أحدث أسلحة القتال، فقرر استخدامها للدفاع عن حياته التي كان على وشك إنهائها بسبب ضعفه أمام أبناء جنسه، عاد للمدينة وحشًا قد قرر افتراس كل من يقف في طريق سعادته في صورة إنسان، كان مبتسمًا ومتفائلًا مع ذلك ونسي فعلته مع رفيق عزلته.

تمت

بقلم / محمد كمال

برهان العارف

بين جدران غرفة صغيرة في بلاد غير بلادي، غربة مكان وثقافة ودين، كتبٌ كثيرة وشهاداتٌ معلقة في كل مكان، مكتوبٌ فيها اسمي، واسم أبي وجدي.. أما أنا فوحيد في تلك الغرفة..وليس معي أي أحد!

ولكم تمنيت أن أتخطى حدود الزمان والمكان والمعقول والمستحيل فيخرجُ أبي وجدي أمامي جسدين حقيقين بدلًا من اسمين على ورق.. أصافحهما وأعانقهما فيشفي ذلك صدري إلى حين.

ربما يشير إلي بالإصبع كل من يعرفني في الجامعة.. هذا عارفُ الفلسطينيُ الذي يبهر الجميعَ بأبحاثِه أما أنا فليلي طويل.. وآهٍ من طولِ ليلِ الاغتراب!

كنت ألعب أنا وإخوتي وأولادُ عمي في بيتِ جَدي، أقربهم إليَّ نسيم، نديد العمر ورفيق الصبا.. نجري ونتصارع ويصرخ جدي على شجارنا الكثير، فنضحك ويضحك ونعود للَّعب مرة ثانية.

يناديا يومَ جمع الزيتون وكأنما يؤذن لعيد.. كيف لشُجيرات الزيتون كلُ هذا الفرح ياجدي؟!

يجيب أن الزيتون شجرةُ مباركة.. أن شجرة الزيتون روحٌ وحياة.

أنا الآن أكمل دراستي في جامعة في الغرب، ونسيم في أرضٍ أخرى من أراضِ الله.. فرقتنا الليالِ القاسيات.. هل عسى يجمعنا يوم ذو نور في أرضٍ نلتقي فيها، كما جمعنا بستان الزيتون في بيت جدي؟

قصف وقنابل ونيران أخرجتنا من ديارنا بغير حق، أجلانا الاحتلال من بيوتنا.. خُلعنا من أرضنا تمامًا كما خُلعت شجيرات الزيتون من الأرض.

آه من صراخك ياجدي على شجر الزيتون.. لن أنسى بكاءك ماحييت.

ألمحُ ونحن نركض هربًا من النارِ؛ كُتَّاب الشيْخِ عبدِالقادر ركامًا وحجارة.. تُرى ماذا حدث له؟!

إلى بلدٍ عربيٍ نرحلُ مع أبي وأمي، ونُخلف وراءنا حسرة لايعلمها إلا الله.

لماذا تحاصرنا الذكريات أحيانًا وتحيطنا، وكأنما العمر قد سُطر بمحبرةٍ تملؤها الدموع..

ياويلي.. ربما محبرةٌ تملؤها الدماء

كان أبي معلمًا، وكم حبّبَ إلينا العِلم.. يقول دائمًا لاأملك من الدنيا إلا الكُتب وأنتم.. لايعلم أحد أني ولده إلا ويقول يالحظك يا ابن الأستاذِ باسل.

أحبك يا أبي؛ أكتبها للأوراق.. ياليتك تسمعها بلساني وأقولها لك رأي عين.

لا أنسى يوم ودعتني قبل السفر، وعينيك يملؤها حنانٌ يكفي كلَّ أبناء العالم.. حظوت به وحدي وأنا بين يديك.

تقول لي: ستلقى من الدنيا كثيرًا ياعارف.. فلن أُوصيك بخيرٍ مماوصى به رسول الله "فاحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك".. قد تنساني يومًا فأنا لا أشاهدك.. ولكن ياولدي لاتنس الله هو شاهدكَ ورقيبكْ.

وأمسكت بيديك جنبي رأسي ودعوت لي "اللهم اجعل له برهانًا من لدنك".

كنتُ في حالةٍ لمْ أدرك فيها معانِ دعواتِ أبي.. ولكنّي أشعرُ بها كطاقةِ نورٍ في صدري تنيرُ أشدَ ظلمة.

أعرف أن كلَّ مولودٍ جديد مختومٌ له منذ الأزل بالسعادة أو بالشقاوة، وأرى أن كل فلسطينيٍ أو ربما عربيٍ؛ مختومٌ له بخاتمٍ جديد اسمه (الغربة).

ما أشبه الغربة -بلا عائلة- بالقبر.. نفسٌ واحدة واستدعاءٌ لماضي.

مضت سنوات ونحن نقيم في الخليج...حتى كان العام الذي حصلت فيه على الثانوية العامة -الأولُ بلامنازع- تنهالُ عليّ منحُ إكمالِ الدراسة في الخارجِ وأقبلُ إحداها وأودعُ أسرتي لأبدأ فصلًا جديدًا من كتابِ غربتي التي لم أخترها بالأمس، ولا اخترتها اليوم.

أنا الآن بلانسيم، بلا إخوتي، وبلا أمي.. ياليتك هنا ياحبيبة تُصلين في مكانٍ قريبٍ فأطمئنُ أنَّ دعاءَك لن يُرد.. دعاءُ الأم كهفٌ يأوي إليهِ الحيرانُ.. فيهتدي.

ليس بين يديَّ إلا بِضع أوراق أدون فيها ما يُثقل كاهلي، علَّها تحملُ عني مالمْ يسَعه صَدري.. أعيدُ قراءتها مراتٍ ومراتٍ فأبكي؛ وكأنما أحيا الألمَ من جديد.. فأمزقها وألقيها وأقول اذهبي بلا رجعة.. فأستطيع النوم كي أبدأ يومًا جديدًا.

أكتب هذه الليلة وأكتب؛ فأنام من شدة الوجد في مكاني.. فأراني أركض؛ فأوشك أن أقع في حفرةٍ كبيرةٍ، فأرى في ناحيةٍ أبي يدعو، وأراني صغير السن أحاور الشيخ عبد القادر وهو يعلم القرآن فأقول: ياشيخ ماعبوسًا قمطريرًا؟، فتمتلئ عيني الشيخِ بالدموع، ويقولُ: يارب يقيك ياولدي يوم القيامة، فما أن يراني أبي والشيخ إلا يأخذان بيديَّ كلٌ من ناحيته، فأفيق على تنميلٍ بذراعيَّ وصوتُ أذانِ الفجر من المنبه.

أقومُ وأصلي وأسأل الله ستره، وأدعوه إلا نجيتني يارب.

أجلس لأحتسي كوبًا من الشاي الساخنِ وأتهيأ للنزولِ إلى الجامعة، وإذ بالباب يُطرَقُ طرقًا متقطعًا، أتعجبُ من يطرقُ البابَ في ساعةٍ مبكرةٍ من الصباح.. أفتحُ فإذا بفتاةٍ تتلوى في الأرض تصرخُ من شدةِ الألم، بالكادِ أفهم ماتقول:.hospital

لا أحد يمكن أن أستعين به.. حمَلتها في السيارةِ إلى أقرب مستشفى، بالكاد عرفتُ أن اسمها لورا، وأنها تسكن وحيدة في شقةٍ مجاورة.

في المستشفى القريب تسألني موظفة الاستقبال عن علاقتي بها فأجيب مُمْتعضًا أنها صديقتي، تلك التي لم أرها قبلَ ساعةٍ من الآن!

في قِسمِ الطواريء تُجرَى جراحةٌ للورا، تخرجُ ولاتزالُ نائمة.. وأنا لاأزال في الانتظار.

يمضي الوقتُ بعد إجراء العملية ويجيء وقتُ الخروج؛ أوصلها للمنزل، وأرجع لبيتي أنام، لقد كان اليومُ طويلًا جدًا، ولديّ العديدُ من المحاضرات في اليومِ التالي.

يومٌ طويلٌ لم أخطط له، ألقي ملابسي على كرسيّ الغرفة، وألقي بجسدي المُنهك على السرير.

أرى في منامي مرةً أخرى ذاتَ الرؤيا؛ أبي، الحفرة، الطفل، والشيخ عبدالقادر.. وأصحو فزعًا أقول ياالله.. إلا نجيتني ياقريب!

يومي عملٍ طويلين جدًا، أرجع متعبًا جدًا، بالكادِ أنام وأصحو ليومٍ جديد.

الباب يطرقُ من جديد؛ أفتح الباب هذه المرة.. إنها لورا واقفة على قدميها.

مرحباً لورا.

أهلاً دكتور عارف، عرفتُ اسمك من الممرضة.

شكرًا لما فعلتَ معي، لقد أنقذتَ حياتي.

لاشكرَ على واجبٍ يالورا، هل أنتِ أفضل الآن؟

نعم؛ أقف على قدميّ كما ترى

الحمد لله.

هل تقبل دعوتي على العشاء؟

لعل هذه هي عينُ الحفرة ياعارف!

ثوانٍ ثقيلة أبحثُ فيها عن ردٍ مناسب، لاأحبُ أن أكونَ سخيفاً!

آسف يالورا.. لاأستطيع.

بنظرة متعجبةٍ تقول:

ألجأ إليك فتنقذ حياتي، بينما يرفض الكثيرون أن يأتوا لمساعدتي.. بل ويظنون أنني أمزح!

ثم لاتتركني حتى تطمئن عليّ

توصلني للمنزل

والآن ترفضُ دعوة فتاة منفردةٍ على العشاء

ظننت أنك ستأتي وتجيب دعوتي لعشاء لطيف.

أنت شخصٌ غريبُ الأطوار.

أنا مسلم يالورا

Terrorist؟

يبتسم الدكتور عارف ويقول: مارأيك أنتِ؟

لاأظن ذلك، في ظنِّي أنك رجلٌ طيب.

كل مافعلته معك يأمرني بهِ ديني؛ أنتِ جارتي يالورا.

كل علامات الاندهاش على وجهها مرسومة مرة أخرى.

على كلِ حال أتيت لأشْكُرك.. إلى اللقاء.

هناك أحداثٌ لايرجع فيها الإنسان كما كان قبل حدوثها، لايرجع أبدًا كما كان.

تعودُ لورا إلى المنزل، الأمرُ غريبٌ، يشغل تفكيرها كثيراً.

كيف كان الدكتور عارف على ذلك القدر من الإحترام! شاب مثقف، وسيم، ومغترب

يعيش وحدهُ، تدعوهُ فتاة جميلة لصُحبتها، فيرفض! بل ويقولُ ديني! كلُ مافي ذهني عن الإسلامِ أنه دين الهمجية، دينُ العنف؛ الصورةُ التي في ذهني على مايبدو غيرُ صحيحة! هل هناك وازعٌ يحمله على فعلِ كلِ ذلك! وكأنّما هناك أحدٌ يراقبه! هل هناك دين يجعلُ الأفعال تُملى من تعاليمه؟

لا أعرفُ لماذا شعرتُ برغبتي في الذهاب إلى المعبد، لم أزره منذ وقتٍ بعيد، علاقتي بالدين سطحية جدًا، مجردُ صلوات أمامَ بعضِ الصور، يذهب أثرها عند أول قدمٍ تخرجُ منه، زرته وكالعادة.. كأن شيئاً لم يكن!

لورا مصورة فوتوغرافية يهودية، كثير من التصوير للسهرات والموضة وعروض الأزياء، الجسد هو المادة الغالبة.

لم أعد أطيق هذا النوع من التصوير، أصبحت أشعر أنه شيء مقزز للغاية، مالذي دهاك يالورا؟ ياليتني لم أقابلك يا عارف، ياليتني لم أطرق الباب ليلتها عليك!

تمضي عدة شهور ولورا المصورة لم تعد كما كانت، تعتذر عن كثير من الأعمال، سقوطها وحيدة تلك الليلة وكلام عارف كان لهما أثرٌ كبير.

تعمل لورا ضمن فريق للتصوير، في فريق التصوير شاب مغربي مسلم يُدعى حسن.

جون: أتمنى لو أتذوق الطعام المغربي ياحسن.

لورا ضاحكة: لاتحب شيئًا حبكَ للطعام ياجون!

حسن: ولم لا ياعزيزي، سأجعل زوجتي تعد عشاءً بأطباق مغربية، فلنجتمع في نهاية الأسبوع في منزلي.

تذهب لورا وفريق العمل إلى بيت حسن بوعدٍ على مائدة طعامٍ شهية.

تستقبل زوجة حسن الضيوف استقبالًا حميمًا وتصافحُ لورا بسلامٍ حارٍ، فهي الفتاة الوحيدة ضمنَ الفريق.

يضحك الرفاقُ وتذهب لورا لتساعد زوجةَ حسن في إعدادِ مائدة الطعام.

في المطبخ روائحُ شهية، وصوت مذياع.

لورا: يبدو أنك طاهية ماهرة ياسناء؛ رائحة الطعام رائعة.

وصوت المذياع هذا مؤثر جداً، ماذا يقول؟

سناء مبتسمة: هذا القرآن الكريم يالورا، هلَّا حملتِ الأطباق معي نعدُ المائدة؟

بالطبع.

الكل يأكل بنهم شديد، الطعام ذكيٌّ جداً.. آه ياحسن، تأكلُ كل يومٍ من ألذ الطعام؛ إنك لذو حظٍ عظيم!...الكل يضحك، ولورا شاردة الوجه!

يبدو أن الطعام لايروق لك يالورا.

لا على العكس..الطعام طيبٌ جدًا.

تمضي السهرة وقد كانت لطيفة، جو الأسرة مفقودٌ عند لورا، تعيش وحيدة منذ وقت بعيد.

تصافح لورا سناء، وتهمس لها منفردة: هل أستطيع أن آخذ نسخةً من القرآن؟ لقد كان صوت المذياع مريحًا للغاية.

بالطبع حبيبتي، إليكِ هذه النسخة المترجمة إلى الإنجليزية، ومعها أسطوانة مسموعة.

هناك أناسٌ حين تلتقي بهم؛ لاترجع كما كنتُ قبل لقائهم..لاترجع أبدا.

تسرع في الذهابِ للمنزل تلكَ الليلة، تفتحُ الكتاب فتقرأ: "الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (١) رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ"

نزلت هذه الكلمات على قلبها كمطرٍ على أرضٍ قاحلة، ظلَّت تبكي وتبكي إلى أن ذهبت في سباتٍ عميق.

المشاهد تُرتبُ في القلب، مشهداً تلوَ الآخر، تماماً كاللقطاتِ الفوتوغرافية، يكمل بعضها بعضًا ضمنَ مشهدٍ كبير، يكشفُ حقائقَ مشوهة في الأذهان، كل المطلوب منك أن تفتح نوافذ قلبك للنور.

وتتوالى اللقاءات بين لورا وسناء التي تجيب على كثيرٍ من استفساراتها ببشاشةٍ وسعةِ صدر، تلك اليد التي تنقذك من الغرق، كيف لك أن تتركها، هل تستطيع؟

تمضي عدةُ أيامٍ، حتى يقترب يوم تصوير حدث هام في مركزٍ قريب، الموعدُ يوم الخميس القادم.

المكان هو المركز الإسلامي القريب، يقيم حفلًا ختاميًا يكرمُ الطلبة المسلمين الدارسين، وفقراتٍ أخرى.

يبدأ الحفل بآياتٍ من القرآن الكريم.

ماأعذب القرآن، لورا دمُوعها تنهمرُ من جديد.

الفقرة الأولى: تكريمٌ للطلبة المتفوقين من المسلمين في عدة مجالات، يقدمُ الفقرة الدكتور عارف باسل!

التفتُت لورا عندما سمعت الاسم، تلتقطُ عدة صُورٍ ناحية منصةِ التقديم، بابتسامة خفيفة امتزجت بدهشة كبيرة، التفتَ إليها وهوَ يقدم فقرته.

لا أدري لماذا نبض قلبي كذلك عندما رأيتُ لورا؟ مابكَ ياعارف؟ ظننُتك ياقلب لن تنبض هكذا لكثرة مابك من جِراح.

الفقرة التالية: نطقُ الشهادة لخمسة دخلوا في الإسلام، شيخٌ نديُّ الوجه يُمليهم إياها، ومع كلِّ كلمة أشهد.. تُرفع الرؤوس، وتُذرَف الدموع، ولم لا! إنه يوم الولادةِ الجديد، يوم الولادةِ الحقيقي! والآن مع

نطق الشهادة للورا سباستيان..

الشيخ: سأنطق الشهادة باللغة العربية ورددي خلفي يالورا

"أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله"

ببشاشة وفرحة جمة، ينظرُ حسن وسناء إلى لورا، ومعهم الدكتور عارف، الذي اعتلت قسماته الدهشةُ من جديد.

تستقبل لورا الرفاق بعد انتهاء الحفل، على بعد منهم، الدكتور عارف يأتي مهنئًا، تشكره وتقول لقد أنقذت حياتي مرتين، يبتسم ويقول: مرتين؟!

نعم؛ المرة الأولى حينما أخذتني إلى المشفى، والمرة الثانية حين رفضت دعوتي وقلت لي (ديني يأمرني بمافعلت معك)، أشكرك كثيرًا.

بالقرب منهما حسن وسناء يصافحان الدكتور عارف، الذي لم يمض وقت طويل حتى أصبح أربعتهم أصدقاء.

لم يمض وقت طويل حتى تزوج عارف ولورا، لي عندك عشاءٌ يالورا.. أريده الآن، تضحك لورا: الآن يحقُ لنا، سأعده لك.

في المركز الإسلامي يدخل عارف وفي يديه لورا، يحضران ندوة، إنها سورة يوسف، الشيخ: لقد كان هذا برهان يوسفَ ياسادة، لقد رأى يعقوب يعضُ على يديه أو أنطق الله له طفلاً في المهد أن لاتفعل يايوسف، أو أراه الله نعمه، هكذا كما تقول التفاسير، كونوا على يقين أن لكل عارفٍ بالله برهانُه، ابحث عن برهانك حتمًا ستجده.

ينظر عارف للورا مبتسمًا ويقول في نفسه: لقد أصابتني دعوة أبي يوم سفري (اللهم اجعل له برهانًا من لدنك).

تمت

بقلم / الشيماء قناوي

غفران

استيقظت على برودة جامحة تخترق جسدي حتى النخاع، لأجد نفسي ممددًا على طاولة معدنية في وسط غرفة واسعة خلت من الأثاث إلا من هذه الطاولة، الغرفة ذات جدران بيضاء متسخة ويتدلى من سقفها خطاتيف مما يعلق عليها اللحوم في المجازر والثلاجات.

كانت الغرفة تكتنفها برودة لا أعرف مصدرها؛ سرت بسببها القشعريرة في جسدي.

حاولت النهوض، لكنني لم استطع على الرغم من عدم وجود ما يقيدني بالطاولة؛ لقد كنت ملتصقًا بها، نعم ملتصقًا بكل ما تحمل الكلمة من معنى!

حاولت ان أفتح فمي لأصرخ مناديًا؛ عسى أن يهب أحدهم لمساعدتي إلا أنني لم أستطع هذا أيضًا؛ فقد كانت شفتاي هي الأخرى ملتصقة ببعضهما تمام الالتصاق!

اجتاحني هلع، جعلني أهز جسدي بجنون، علَّه ينفصل عن الطاولة، مصحوبًا بصوتي المكتوم دون جدوى حتى خارت قواي.

في هذه اللحظة، ترامت إلى مسامعي وقع خطوات تسير على مهل، حتى أصبحت على مقربة مني .

من صوت الخطوات أدركت انها لسيدة تنتعل حذاءً بكعبٍ عالٍ، وعندما أصبحت في مرمى بصري أخذت أرقبها بتوتر بالغ، كانت تقترب مني في هدوءٍ يكاد يكون برود غير عابئة بنتظراتي المرتعبة المصوبة إليها، مرتديةً زيًا جلديًا أسود لامع يضم جسدها بحزمٍ فاضحًا تناسقه، بينما شعرها معقوص بصرامة للخلف على هيئة ذيل حصان.

صورة كلاسيكية لامرأة سادية خارجة للتو من فيلم رعب، ألعب أنا فيه دور الضحية!.

وقد كان توتري يزداد مع كل خطوة تخطوها؛ فتقرّبها مني و أنا بهذه الحال، لا حول لي ولا قوة، إلا أن عيناي اتسعت من الدهشة عندما اتضحت ملامحها، وأدركت أنها زوجتي!

استقبلت دهشتي بابتسامة سخرية، ثم نظرت إلى جسدي المُسجى أمامها على الطاولة بإمعان، لترفع يدها، فيلمع شيئًا معدنيًا صغيرًا تحمله بين أصابعها، لا يزيد طوله عن طول أصبع السبابة لديها؛ إلا أن لمعانه ينبيء عن مدى حدته.

حملقت فيه لبرهة حتى أدركت أنه مشرط، فهوى قلبي عند قدمي، وجحظت عيناي رعبًا وأنا أراها تنتقي بأي منطقةٍ تبدأ؛ فندت عني صرخات مكتومة جعلتها تنظر صوبي مباشرة، فتلتقي أعيننا في نظرة صامتة أتاحت لي رؤية كم هائل من الجفاء والقسوة قد سكنت عينيها واستقرت بهما، وهو ما لم أعهده فيها ابدًا طيلة حياتي معها، ووجدتني أسأل نفسي: من أين أتت بهما؟!

ليقطع صمت اللحظة صوت ضحكة هستيرية حادة صادرة عنها، أعقبتها بحديثٍ قائلة:

أحقًا تسأل من أين جاءت قسوتي؟!

ازدرت ريقي و معها دهشتي، من أين علمت بحديثٍ دائر بيني وبين نفسي؟!

- لا يهم كيف علمت،

أجابت بحدة، ثم أكملت بنفس الحدة:

المهم إجابة سؤالك، وسأجيبك.

أخذت تدور حول الطاولة بعصبية، فيما شرعت تقول:

- مبدئيًا، من صلفك وغرورك، فأنت دائما على صواب و أنا دائمًا على خطأ، رأيك قانون ورأيي شئ تافه لا يعتد به.

أنهت جملتها و قد هوت بمشرطها على ذراعي الأيمن؛ محدثةً به قطع غائر تدفق منه الدم بغزارة و تلوت معه أحشائي من شدة الألم.

ثم تابعت غير مكترثة لتأوهاتي المكتومة:

استهانتك بذكائي وقدراتي، وانتقادك الدائم لكل أفعالي؛ لتحقق تفوقًا وهميًا لا يوجد سوى بخيالك المريض؛ فيرضي غرورك و يخفف عنك وطأة شعورك بالنقص.

و مع الكلمة الأخيرة هوت مرة أخرى بمشرطها، هذه المرة على فخذي الأيسر؛ محدثةً قطعًا أخر، لا يقل ألمًا عن سابقه.

و توقفت برهة تتأمل جسدي المرتعش من الألم مصحوبًا بأنيني المكتوم بتلذذ لم تحاول إخفاؤه، ثم تابعت:

و ماذا عن كل تلك التفاصيل الصغيرة التي قد تسعد، وقد تتعس أيضًا؛ عيد ميلادي، عيد زواجنا، اتصالك عند تأخرك في عملك حتى لا ينتابني القلق، سؤالك لى عن أحوالي و كيف قضيت يومي أثناء غيابك، ابتسامتك في وجهي عند إقبالك وتوديعك لي عند إدبارك، كلها أشياء تجاهلتها متعمدا حتى.. حتى تلك الأشياء التي أحبها أو أكرهها من توافه الأمور، حتى تلك تجاهلتها عن عمد.

و خلال حديثها السابق كانت قد غيرت من استراتيجيتها؛ فهي لم تنتظر حتى تنهي حديثها لتسقيني من مشرطها شراب الألم اللاذع الموجع، بل كانت مع كل تفصيلة تذيقني إياه بمنتهى العنف والقسوة، حتى شعرت بأن قلبي سيتوقف من شدة الألم.

و يبدو أنها أدركت ذلك و لسبب ما خشيت حدوثه، حيث اقتربت مسرعة من صدري تتسمع نبضاته ثم نظرت إلي بمرارة قائلة:

و قلبك هذا، ووعده لي بالحب و السعادة بعد الزواج، لِما حنث به؟

أغمضت عيني وأنا أستقبل مشرطها يغمد في صدري بلا رحمة، لتشخص عيني تجاه سقف الغرفة، بينما كان جسدي ينتفض كدجاجة مذبوحة.

و هنا هدأت نبرة صوتها و هي تقول:

لا تمت؛ لم ننتهي بعد!

كان صوتها كأنما يأتي من مكانٍ بعيد، أو ربما كنت أنا من يذهب إلى مكانٍ بعيد.

شعرت بأنفاسها الحارة تغمر وجهي البارد وهي تقترب لتنظر في عينيّ الشاخصة نحو السقف، لتكن صورة وجهها أخر ما تراه عيني، و هي تمضي في حديثٍ هادئ:

فمازال هناك عقلك الذي صور لك أحقيتك في امتلاكي واستغلالي واستعبادي بعقد زواج !.

و كانت طعنة مشرطها الأخيرة بين عينيَّ لينتفض جسدي بعدها نفضته الأخيرة أيضًا، بينما تحلق روحي إلى عنان السماء مثقلةً بتساؤل يبدو أنه سيؤرقها إلى أبد الأبدين:

و هل ستمنحني يومًا حق الغفران؟!

استيقظت فزعًا من نومي؛ بجسدٍ يتصبب عرقًا و أنفاسٍ متلاحقةٍ ولعابٍ جافٍ جعلني أتجرع كأس ماء كان بجواري جرعة واحدة، ثم أسرعت إلى المرآة، أنظر إلى جسدي غير مصدق ان مامررت به ما هو إلا كابوس مُفزع، و تلفتُّ حولي ناظرًا لأشيائي التي أعلفُها، مؤكدًا لنفسي أنه فعلًا مجرد كابوس شملني أنا وزوجتي.

لكن أين هي زوجتي؟! وهرعت أجوب المنزل باحثًا عنها لأجدها في المطبخ تستعد لتقطيع اللحم بسن السكين، و قد استقبلتني بابتسامة و دودة وهي تقول:

استيقظت اخيرًا.

أومأت برأسي إيجابًا، وقد تعلقت مقلتاي بنصل السكين في ذهابها وإيابها على المِسَّن، سرت في جسدي رعشة لم تكن بغريبة، جعلتني أنقض على يديها ضاما إياهما بقوة بين راحتي ساحبًا السكين برشاقة من بين أصابعها بينما أقول بصوت مضطرب:

حبيبتي.. ما رأيك بعشاءٍ في الخارج.

سألتني باستنكار: وما المناسبة؟!

أجبتها: بمناسبة حبي الذي يزيد لكِ يومًا بعد يوم.

فغرت فاها وهي تسمع كلماته، وتراه يرفع يدها لشفتيه فيلثم أناملها بعذوبة وتودد، ثم يستطرد في حديثٍ طويلٍ عن رغبته في اصطحابها في أجازة طويلة إلى ذلك المكان الذى طالما أرادت الذهاب إليه، وأنهما يجب عليهما تغيير روتين حياتهما من وقتٍ لأخر، و أنه يتمنى أن تغفر له انشغاله عنها، وأنه سيعوضها عن ذلك كله و..

وهي غارقة في هواجسها تسأل نفسها والريبة تكاد تقتلها:

تُرى.. أيُ ذنبٍ اقترفتَ في حقي هذه المرة؟

لتتنبه على صوته يناديها، فتنظر له بأعين مترددة بينه و بين السكين الموضوع على طاولة المطبخ الخشبية !

تمت

بقلم / رشا فوزي

غربة

كانت ساعة المصنع تشير إلى الخامسة، موعد انتهاء اليوم.. الازدحام شديد على ماكينة البصمة..

العاملون في مرح وسرور في هذا اليوم الوحيد من الشهر حيث استلام الراتب.. فتجد القفشات والضحكات تعلو وهم في سعادة، بينما باقي الأيام تجدهم في وجوم وإرهاق وتعب، أخذتُ ركنًا بعيدًا عن الزحام وأسندتُ ظهري إلى الجدار حتى يخف تكدس العاملين بينما عقلي قد تركني وذهب في مشوارٍ آخر.. مصروف البيت، طلبات الأولاد، الأدوية والعلاج..و.. تحسست بيدي المظروف القابع داخل جيب جاكيت البدلة الأيسر الداخلي، حتى أخرجني من حالتي تلك صوت زميلي منصور الذي يصغرني بأكثر من عشرين سنة

- يلا يا عم سعد، إنت هتنام عندك ولا إيه!

نظرت إلى منصور وأشرت إليه بأنني سأكون وراءه مباشرة.. لم تمضِ دقائق وكنا خارج البوابة الرئيسية في طريقنا إلى محطة المينى باص.. بادرني منصور بقوله:

- ياعم انت هتركب أتوبيس؟.. بر نفسك بقى شوية واركب تاكسي، انت معاك فلوس أد كده.

ثم أخذ يضحك عاليًا وهو يشير إلى تاكسي، وأنا أنظر إليه بغيظ وحنق خوفًا من أن يسمعه من يجلس على المحطة.. وضعت يدي على جيبي بطريقة لا شعورية وأنا أقول في نفسي:

- هو المرتب فيه إيه عشان أدفع تلاتين أربعين جنيه! مش البيت أولى برضه!.

لم تمضِ دقائق حتى توقف الباص أمامي، كان يحدوني الأمل أن أجد مقعدًا شاغرًا ولكن للأسف جميع الركاب كأنهم مواصلون إلى آخر الخط..

صوت التليفون المحمول يواصل رنينه.. كانت على الطرف الآخر زوجتي تطمئن على صرف الراتب وأنا أرد عليها بكلمات مبهمة خوفًا من أن يسمعني أحد، وكأنني أحمل في جيبي مليون جنيه.
وضعت التليفون في جيبي، وفجأة وجدته بجواري.. شاب في العشرين من العمر تظهر علي وجهه علامات التشرد والإجرام، يلتصق بي وأنا أبتعد عنه وهو يقول بصوت أجش:

- ما توسع يا حاج شوية، جنبك فاضي!

- يا ابنى أروح فين! أقعد على حجر الناس يعني؟!

كانت رائحة فمه وأسنانه البنية اللون ونظرة التحدي في عينيه التي تحول بياضها إلى اللون الأصفر؛ جعلتني أتمنى أن أقفز من الشباك.. أدركت أن هذا الشاب ما هو إلا لص.. وحظي الأسود قد أوقعني في براثنه.. فوضعت يدي على جيبي كي أطمئن أنه مازال سليمًا، نظر إليَّ

الشاب بغيظ وأخذ يدوس على قدمي في كل اهتزازه للباص.. وأنا منهمك في الحرص والتأهب لما قد يقدم عليه هذا الشاب، بينما أنا في حرصي وتأمين جيبي سمعت صوتًا آخر قويًا:

- ما تفتح يابني آدم.. كام مرة تدوس فيها على رجلي..

كان الشاب مفتول العضلات يلبس نظارة سوداء، ويفوق الشاب الأول في الطول فرد عليه ولكن هذه المرة في خنوع:

- ياعم هو أنا جيت ناحيتك!

فأمسك صاحب النظارة السوداء بمعصمه بقوة وقال له:

- طيب انكشح من هنا مش عايز أشوف وشك..

نظر إليه الشاب وكأنه يعرفه.. ولحظات وكان خارج الباص يسب ويلعن ولكن بعد أن تحرك الباص.. كل ذلك وجميع الركاب وكأنهم خشب مسنده وصمت رهيب يسود المكان..

لم أدرِ هل كان الشاب ذو النظارة السوداء ينظر إليَّ أم لا، ولكنني لاحظت ابتسامة خفية على شفتيه، توجست خيفةً وأدركت أنهما عصابة، فهذا الشاب ذو النظارة السوداء قد تولى المهمة التي فشل فيها الآخر، كانت الحسرة تأكلني من الداخل، لماذا أنا بالذات! أنا ليس معي غير راتبي الضعيف بعد كل هذه السنوات والعمر الذي يتخطى الخمسين بسنوات، فازددت حرصًا وتشبثًا بصدري الذي ينتفض بضربات قلبي، بينما الابتسامة على وجه الشاب تزداد اصفرارًا وكأنه يقول لي:

- ما تحاولش، والله لو لزقتهم على جسمك.. هاخدهم هاخدهم..

أحسست باضطراب في مفاصلي وأن رجلي لا تستطيع أن تحملني، فأخذت أتمتم ببعض آيات من القرآن لعل الله يحفظ راتبي حتى يصل سالمًا إلى يد زوجتي.

نزلت في محطتي وأنا أحمد الله على السلامة، ولكن حانت مني التفاتة، فوجدته خلفي يحث الخطى، فأسرعت في مشيتي ولكنه يمشي ورائي بإصرار عجيب!

ماذا أفعل؟ هل أنادي على المارة لينقذوني؟ أخاف أن يفتعل معي مشاجرة وتكون النهاية علامة من مطواته في وجهي، أو سلب راتبي، وأنا ضعيف الجسم بالنسبة إلى جسمه الضخم..

تنفست الصعداء حين دلفت داخل العمارة التي أسكن بها، بينما الحارس يكلمني، ويخبرني أن فاتورة الكهرباء قد وصلت.. أومأت برأسي ووقفت أمام المصعد، فإذا بالشاب يدخل من باب العمارة! ماهذا الجبروت والإصرار على السرقة! تشجعت في وجود الحارس وهممت أن أوبخه وأطلب منه الخروج فورا من العمارة، ولكن أسكتني صوت الحارس وهو يقول له:

- أهلا يا أحمد بيه
- إزيك يا محروس
- الحمد لله يا بيه، فاتورة الكهربا وصلت.
- ماشي يا محروس، ابقى طلعها وخد الفلوس.

مـر الشـاب بجـواري وقـد ألقـى علـيَّ السـلام وصـعد علـى الـدرج ، ناديت محروس وسألته:

- مين ده يا محروس

- ده الأستاذ أحمد.. ساكن جديد في الدور التاني.. بقاله تلات شهور

- تلات شهور وأنا معرفوش؟

رد عليَّ محروس بشيء من الفلسفة

- هو في حد عارف حد في العمارة دي يا بيه! كل واحد في حاله..

أدركـت أن الغربـة تـأتي مـن داخلنـا نحـن، مـن داخـل الأسـرة الصغيرة، فكان لابد أن أدعو إلى اجتماع عاجل للتعارف بالسكان الجدد والترحيب بهم، ونذيب مابداخلنا من غربة.

في اليوم التالي، وضعت ورقة كبيرة وبخط عريض بجوار الأسانسير (السادة الأفاضل سكان العمارة، الرجاء تشريفنا في الموعد أدناه فوق سطح العمارة للتشاور في أمور العمارة والتعارف)

وفي الموعد المحدد.. لم يحضر أحد!

بقلم / عطا عفيفي

مسلسل الإجرام للجميع

وأخيرًا.. وجدت القرية ضالتها، بعد تقاعس العمدة وشيخ الخفر عن كشف غموض الجريمة التى حدثت أثناء صلاة الجمعة مع تواجد الجيران داخل كنيستهم بالبلدة، بحجة أنهم ينتظرون المفتش العام، وجلس ثلاثتهم، أحدهم يتبصص والثانى يتلصص والآخر يشكو الجوع والحرمان، بعد حظر البضائع عن البلدة الصغيرة، تحسبا لدخول وجوهًا جديدة تكمل مسلسل الإجرام للجميع.

غالبًا ما تكون البداية أصوات إطلاق رصاص ناحية الكنيسة العتيقة، ثم يليها نحيب وعويل، والمتهم في الغالب محمد ابن حسن الكلاف، الذى عمل فى السعودية لقرابة ثلاثين عامًا، حيث رُزق بمعظم الأبناء ورغم تلقيهم العلم على أيدي أساتذة مصريين، إلا أن التطرف كان السمة الغالبة للجميع حتى النساء منهم.

ذهب محمد الكلاف بعد تخرجه ليساعد المجاهدين الأفغان في حربهم ضد الروس، وترك جميع افراد أسرته بأرض الحرمين الشريفين.

وأصيب ذات مرة فى إحدى الهجمات، وفقد ساعده حتى منتصف الذراع، ووعده القاده كثيرًا أن يعوضوه بجهاز ومبلغ ضخم، وإنهاء خدمته، حيث انحسر القتال بسيطرة حركة طالبان على مجمل الأراضى والمرتفعات في تورا بورا.

بعد انقسام الحركة على زعيم الجهاديين أسامة بن لادن، وأصبح من المحتم تسريح المصابين -فقد يمثلون إعاقة لباقي القوات- قرر أن يرحل بزوجته الدانماركية من أصل جزائري، والتي كانت قد تطوعت للجهاد ضمن القاعدة في أفغانستان من جراء الحقد الدفين على الحضارة الغربية وفشل محاولات الإنجاب من أصدقاء لها قبل السفر، وبعد أن أعلنت توبتها حسب زعم الإمام؛ تزوجت من الكلاف طمعًا فى جنة الدنيا ونعيم الآخرة، رغم أن عملها كان مقصورًا على المساعدة والتطبيب، إلا أنها كانت تتمتع بحصانة غريبة من بعض الرجال.

وفور وصولهما إلى مطار كوبنهاجن العاصمة، تعرضا إلى سيل من الأسئلة والاستجوابات داخل الغرف المظلمة، إلا أن السلطات أفرجت عنهم لعدم ثبوت أى أدلة بالضلوع في عمليات إرهابية.

مر شهرٌ كاملٌ دون أى حراك، ولا نية سوى التفرغ للحياة بالتجارة أو العمل والدراسة عن غير قناعة بسبب عدم أداء المهمة على الوجه الأكمل، وذات مساء تلقي الكلاف عبر إحدى شبكات التواصل رسالة مفادها (أن أمامه فرصة كبيرة لتعويض هذا الاخفاق الذى حظي به هو وزوجته، مع شرح كامل للتفاصيل، وأماكن تسلم الأحزمة الناسفة، ومبالغ نقدية للاحتفاظ ببعضها، وإرسال المتبقي للأهل بمصر والجزائر) ومنذ ذلك الحين تسربت الحيرة والتشتت مرة أخرى إلى قلوبهم ما بين موافقة ومعارضة لبداية حياة جديدة، وعند تلك المرحلة تذكر وصية الأمير في تورا بورا، فحزم أمره واستلم الخريطة والمتفجرات والنقود من شاب اتضح من هيئته أنه مصري الجنسية.

صباح يوم التفجير.. وبعد أن مارسا علاقتهما الزوجية المعتادة، استعدا للذهاب لمكان العملية، وقتها سمع ضجيجًا شديدًا بالخارج، وبعد أن تأكدا أنها شرطة مكافحة الإرهاب، دبَّ الذعر فى قلبه وقلب زوجته، وفرا هاربين من باب خلفي متصل ببدروم أسفل المبنى، وأفلت الرجل بأعجوبة، إلا أن الزوجة أصيبت برصاصة في الرأس أودت بحياتها، ولم يتمكن من إسدال طقوس الوداع لخليلته، لضيق الوقت وخطورة الأمر.

وما أن هدأ روعه واطمأنت نفسه جلس يحدثها:

كيف تستقيم الأمور على هذا النحو؟

هل سأعيش مطاردًا باقي الحياة في بلاد غريبة لا نعرفها ولا تعرفنا؟

لابد.. لابد من الرحيل حتى إلى مصر مهما كلفتنى العودة من متاعب مع الأمن والأهل والأصدقاء، وتمكن منه شعور الحنين.

ذهب إلى أحد ضواحي كوبنهاجن لسمسار تهريب للاتفاق حسبما قرر، وفي الطريق واجهته مصاعب عدة، إلا أنه كان يفلت وينأى بنفسه عن أماكن التوتر والقلق والتفتيش.. وقت أن كانت معظم أوروبا.. بل العالم مرتعًا خصبًا لعمليات الذئاب المنفردة للإرهاب الدولى.

وصل لهدفه أخيرًا، وتم الاتفاق ودفع مبلغًا طائلًا مما لديه من أرصدة نقدية بحقيبته الصغيرة المثبتة على خصره كما الحزام الناسف، بعد أن تخلص منه وقت الهروب.. وبعد مرور أيام مقيمًا لدى الرجل في

مخبأه، استلم جواز سفر مصري جديدًا باسم مستعار، وكان ضمن الاتفاق أن يتم مساعدته إلى الوصول لأقرب مطار.

صعد الطائرة بأنفاس متقطعة وصوت متحشرج طالبًا للمياه قبل أن تقلع، وأثناء الطيران تذكر أبيه وقريته التى أوصى بها، ومنزلهم وقريبهم الذى يؤجر أرضهم، وترتيبات لم تكن متوقعة، الأهم أن يصل لمصر.

في مطار القاهرة تعرض أيضا لخيبات وويلات من تحقيقات وإهدار لإنسانيته، ولِمَ لا! فهو فى الأخير إنسانٌ.. له كافة الحقوق في بلاده، رغم أنه وُلد بالمدينة المنورة،

قد يكون لهم العذر فى ذلك، ربما جواز السفر مزور، وغيرها من الأسئلة للاشتباه، فنحن في عصر الإرهاب الجميل، ضحك من قلبه دون صوت بعد أن تذكر إحدى المسلسلات المصرية التى أطلقت هذا التعبير، وفى الأخير تحمل أيامًا أخرى حتى تركوه بعد تحذير شديد اللهجة من العودة لأفغانستان، إذ كانت أجهزة الأمن المصرية على علم بكل تحركاته، منذ أن غادر السعودية عبر أجهزتها الاستخباراتية القوية، استقبلة أحد الأقرباء بالقرية وحزن كثيرا لقطع ذراعه وسأل عن والده والعائلة، وأبلغه أن والده كان يسأل ليطمئن هل عاد لمصر أم لا؟

قرر أن يعود للصلاة في المسجد القريب، محاولًا نسيان ما حظي به من أهوال، وبعد الصلاة إذ بشخص ملتحي يسلم عليه بحرارة قائلا: حمدا لله على سلامتك يا كلاف، الرجال هناك يرسلون لك ألف تحية ويتعجبون كيف عدت إلى هنا!

وهمس فى أذنه ليتقابلا مساءً في منطقة بعيدة وأردفه قائلا: مازلت مطلوبًا في النعيم يا محمد، كانت القرية وقتها تشتعل بأحوال الفتنة الطائفية، ولم تستطع الأجهزة المحلية السيطرة على الأمر بسبب صلاة بعض الأقباط في منزل كبير لأحدهم، لعدم وجود كنيسة هناك.

لقد رتبنا لك الأمر يا كلاف، لا تقلق.. بعد إتمام العملية سوف نأخذك لمكان آمن في بطن الجبل، على أطراف القرى المجاورة، حتى يهدأ الأمر وتعود للقاهرة ومنها إلى السعودية حسب الترتيب.

ركب محمد الدراجة البخارية خلف آخر، وبسرعة رهيبة مرا أمام ذلك المنزل المقصود مصوبًا رشاشه على الجميع، مسلمين وأقباط ممن تواجدوا أثناء وبعد الصلاة، وفرا هاربَين والبكاء والعويل لم ينقطع عن الأسماع.

وفجأة اعوجت الدراجة جهة اليسار، ثم انسحبت على الأرض حتى توقفت.

فقد كذبوه إخوته في الجهاد وغدروا به، وصوب السائق نحوه مسدسًا وبدأ بإطلاق النار على رأسه قائلا: مازلت مطلوبًا في النعيم يا أخ كلاف.. أستودعكم الله.

وأخيرًا.. وجدت القرية ضالتها بعد تقاعس العمدة وشيخ الخفر عن كشف غموض الجريمة التي حدثت أثناء صلاة الجمعة مع تواجد الجيران داخل كنيستهم بالبلدة، بحجة أنهم ينتظرون المفتش العام، وجلس ثلاثتهمن أحدهم يتبصص والثانى يتلصص والآخر يشكو الجوع

والحرمان، بعد حظر البضائع عن البلدة الصغيرة، تحسبًا لدخول وجوهًا جديدة تكمل مسلسل الإجرام للجميع .

بقلم / أ/ أحمد فتحي رزق

الحيرة

عشرون جنيها

في بيت متوسط، وسط حي من أحياء القاهرة، تُمسك دعاء بالهاتف وتنادي:

بابا.. أكرم على التليفون

يأتى المهندس سعيد مسرعًا: خير إن شاء الله

أكرم: إلحقنى يا باشا.. أنا فى القسم، وبطاقتى ضايعة ومش معترفين بصورتها، وعايزك تضمننى عشان أخرج

المهندس سعيد : جايلك حالًا

فما كان المهندس سعيد ليتأخر عن مساعدة أحد، حتى لو كان مجرد عامل عنده في الموقع.

ويدخل المهندس سعيد ليعطي بطاقته لأمين الشرطة في القسم، فيفاجأ بعد مرور ساعة من الانتظار بأن أمين الشرطة يأمر أفراد الشرطة بالقبض عليه!

المهندس سعيد وقد انتابته نوبة من الغضب والعجب:

بتعمل إيه؟ إيه اللي بيحصل؟ عايز أفهم ؟

أمين الشرطة: عليك حكم بالسجن

المهندس سعيد: حكم بالسجن! إزاي؟ وليه؟

أمين الشرطة :عندك قضية مرفوعة عليك من مصلحة الضرايب، واتحكم عليك فيها بالسجن، تهمة تبديد عشرين جنيه.

المهندس سعيد: عشرين جنيه! إزاي وأنا مسدد الضرايب ومعايا اللي يثبت؟

أمين الشرطة: سددتها اه.. لكن مش كاملة، فيه مبلغ عشرين جنيه متبقيً عليك، لازم يتسدد.

المهندس سعيد: هو طبيعى إن مصلحة الضرايب ترفع قضية عشان عشرين جنيه؟ ومتكلفش نفسها وتتصل بيا عشان تاخذهم مني، وترفع عليا قضية تصرف فيها أضعاف المبلغ المطلوب!

إيه اللي بتقوله ده؟!

أمين الشرطة: والله الكلام ده تقوله لمصلحة الضرايب، مش ليا أنا..

المهندس سعيد: والعمل ؟

أمين الشرطة: اتصل بالمحامي يعملك مخالصة من الضرايب

ويقوم المهندس سعيد بالاتصال بالمحامي فيأتيه على الفور ويقول له:

لازم تتصرف وتخرجني من هنا..

المحامي: للأسف يا افندم، لازم تتحجز لغاية ما نجيب المخالصة من مصلحة الضرايب

- ويتم حبس المهندس سعيد..

ويذهب المحامي إلى الضرائب ليسدد المبلغ ويأتى بالمخالصة، فترفض مصلحة الضرائب وتطلب حضور المهندس سعيد، فيخبرهم المحامي أنه محبوس بسبب القضية المرفوعة عليه، فيطلبوا منه توكيل له بالسداد..

المحامى: معايا توكيل عام منه في كل القضايا..

مأمور الضرائب: قلت لك يا أستاذ محتاج توكيل خاص بالسداد، مش توكيل قضايا

- ويذهب المحامي إلى مأمورية الشهر العقاري ليطلب حضور أحد الموظفين معه إلى القسم، ليتم عمل التوكيل المطلوب، فيعطونه موعدًا بعد أسبوع!

ويظل المهندس سعيد محبوسا حتى يأتي موظف ليتم عمل التوكيل، ويتم بعد ذلك سداد المبلغ، ليأخذ المحامي المخالصة حتى يُخرج موكله من محبسه، ولكنه بعد أن يأتي بالمخالصة ويقدمها لقسم الشرطة، يرفضها القسم.. لأن ذلك ليس من اختصاصه، فهو سلطة تنفيذية، عليه أن يذهب إلى المحامي العام.. ويفعل المحامي، ويقدم طلب للمحامي العام مرفق به المخالصة ليتم تحديد موعد له خلال خمسة عشر يومًا، حتى يستطيع أن يحصل على قرار من المحامي العام لإخراج موكله..

وبالفعل، يحصل المحامي على هذا القرار، بعد أن أمضى المهندس سعيد في قسم الشرطة أكثر من شهر.. هى أسوأ أيام مرت به على

الإطلاق، وقد أصيب بمرض جلدي لسوء التهوية والتكدس وقذارة المكان، فيعود إلى بيته بعد شهر، ولكن محكومًا عليه بالحبس بين جدران غرفته طوال حياته، لا يقربه أحد حتى لا ينتقل إليه المرض، حتى زوجته وبناته الثلاثة، فهو معزول عن الجميع، قد حُرم من كل شئ في الحياة، والسبب عشرون جنيهًا سقطت سهوًا من مصلحة الضرائب في التحصيل، والقانون في هذه الحالة أعمى، فالذين يُطبَّق عليهم في وادٍ، ومن يطبقوونه في وادٍ آخر.

بقلم / عادل حسن

ذات الوشاح الأسود

يومٌ مرهق آخر قد مر على هاشم، وهو ينقل الزبائن بسيارة الأجرة الخاصة به من مكان إلى مكان، ومن شارع إلى آخر.

أصبحت حياته فصلا مكررًا مملًا، يُعاد كل يوم بنفس التفاصيل ونفس الأحداث.. لكنه يتحمل ذلك عن طيب خاطر، عندما يعود آخر الليل، ويعطي زوجته حصيلة اليوم مخصومًا منها ثمن الوقود وطعامه.

وتتلخص مهمتها في توزيعه بين مصاريف المنزل و مصاريف (سامح) ابنهم - طالب كلية الحقوق - وإدخار جزء بسيط منه لما تخبئه لهم الأيام من ظروف طارئة غير متوقعة.

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل بقليل عندما مر من هذا الطريق الخالي من السيارات والمارة.. كان عائدًا من قرية قام بتوصيل أحد الزبائن إليها، وتحصل منه على ما يوازي نصف ما جمعه طوال اليوم كله، لذلك كان منتشيًا سعيدًا يدندن مع المذياع أغنية لأم كلثوم.

لم يكن هذا سبب انتشائه فحسب، بل كانت الحبوب المنشطة التي اعتاد على تناولها منذ زمن لا يعرف بدايته قانعًا نفسه بأنه لا يتناولها لمزاجه الشخصي، لكن لتجعله مستيقظًا حتى هذا الوقت، فتزيد محصلة اليوم وحتى لا يتعرض لحادث.. وما أكثر حوادث الطرق هذه الأيام.

لم تكن هذه أول مرة يمر فيها من هذه الطريق، بل أصبحت زيارته لهذه القرية والمرور بهذا الطريق ذهابًا وعودة أمر مكرر بشكل أسبوعي.. لكن مؤخرًا أصبح المرور فيه يصيبه بالرهبة والقشعريرة!

أخرجه من حالة الانتشاء والدندنة تلك.. امرأة تقف في وسط الطريق تشير له بكلتا يديها بالتوقف، مما اضطره للضغط على المكابح بسرعة قبل أن يصدمها.

- هل أنتِ مجنونة؟ كدت أن أصدمك.

- بكل هدوء وبصوت أهدأ لا يتناسب مع الموقف:لا عليك، اعذرني.. فهذه هي الطريقة المثلى لإيقافك.. جربت الطرق التقليدية وها أنا ذا أقف وحيدة وقد تآكل الليل.. هل يمكنك أن تأخذني معي في طريقك؟

- إلى أين أنتِ ذاهبة؟

- لا تقلق، طريقنا واحد صدقني.. والآن هل تتفضل بفتح باب السيارة، فيداي مصابة بالحروق للأسف.

ترجل من سيارته ممتعضًا، وحاول فتح باب السيارة الخلفي فاعترضت.. وطالبته بفتح باب السيارة الأمامي لتجلس بجواره على غير المعتاد من زبائنه، خاصة النساء منهم!

فتح لها الباب وجلست، فأغلقه خلفها، وعاد لمكان القيادة ليواصل طريقه.

امرأة ثلاثينية رغم شحوب وجهها الأبيض تمامًا، إلا أن ملامحها تشي بجمالٍ هادئٍ جذاب، يبرزه أنفها الدقيق وشفتاها الصغيرتان وعيناها الواسعتان.. وكانت تداري خصلات شعرها بوشاح أسود يزيدها جاذبية.

أول ما جال بخاطر هاشم، أنها فتاة ليل أو ما شابه.. ودليله هو وجودها في هذا المكان، في هذا الوقت، وجلوسها بجواره الآن.. كان قد اكتسب خبرة في تمييز هذا النوع من الزبائن، وكم من مرة تحصل على أجرته منهم بالطريقة الوحيدة التي يجيدونها، وكان مستعدًا للحصول على أجرته من هذه المرأة بنفس الطريقة من باب متعته الخاصة وحب التغيير!

- هل أنت سعيد في حياتك ؟

فاجئته بهذا السؤال الفلسفي الذي لم يعتد عليه من زبائنه.

- إلى حد ما.. نحمد الله مستورة.. رغم الغلاء إلا أن ربك يدبرها من حيث لا نحتسب.

إجابات غير متزنة غير مرتبة تناسب سؤالها المريب.

- متأكد أنها مستورة ؟ ولا أقصد بسؤالي الماديات، أعلم جيدا أنك تلبي احتياجات بيتك ويزيد.

- لا أفهم.. ماذا تقصدين بالضبط.

- ما رأيك في زوجتك (عفاف).. صحيح هل اتصلت بك الاتصال المعتاد لتطمئن على موعد وصولك للمنزل؟

أصابته كلماتها بالذهول والصدمة.. فكيف عرفت اسم زوجته! وكيف عرفت عادتها المحببة إلى قلبه، والتي من المفترض أنه لا أحد غيرهم يعرفها.

- كيف عرفت اسمها! هل تعرفينها ؟

- ليس هذا هو السؤال الصحيح يا عزيزي.. بل لماذا أسألك هذه الأسئلة من الأساس.

استشاط (هاشم) غضبًا من أسلوبها وكلماتها الغامضة..

- إن لم تخبريني ما وراؤك سأقتلك يا امرأة.

ضحكت بسخرية وبنفس الهدوء والثقة أجابته: تقتلني! قبل أن أكشف لك الحقيقة!

- أي حقيقة تقصدين! هيا تكلمي.. هاتِ ما عندك..

- حقيقة حياتك القبيحة القميئة، والتي تتوهم جمالها.

- كفاك ألغازا يا امرأة، وأخبريني ما عندك، وإلا كان هذا اليوم هو آخر يوم في حياتك.

- فقط أجبني وسأخبرك بكل شيء، وصدقني ستندم على تعجلك في معرفة الحقيقة، وستتمنى لحظتها لو عشت عمرك كله في وهمك.. والآن قل لي، هل اتصلت بك (عفاف)؟

شيءٌ في كلامها يوحي بالرهبة والسيطرة عليه، قوة خفية جعلته يخضع لإرادتها ويسايرها للنهاية.

- نعم، منذ قليل، وعرفت أن أمامي ساعة على الأقل للوصول وبدأت في إعداد وجبة العشاء.

- وطبعًا تُسَر وتفرح باتصالها، وتعتبره اهتمامًا من زوجتك الحنونة، ولا تعرف أن اتصالها اليومي لغرض خبيث.

- ماذا تقصدين؟

- زوجتك تفعل ذلك حتى لا تعود وتجد (عمر) صديق عمرك وجارك في حضنها على فراشك.. وقبل أن تغضب وتثور فقط اتصل بها الآن وأخبرها أنك تقف على باب الشقة، واطلب منها أن تفتح لك الباب بسرعة.

تمالك أعصابه وانصاع لكلامها، وللأسف حدث ما خشي أن يحدث من زوجته.

ارتباكٌ شديد منها، ولومٌ شديد عليه، لأنه خدعها وجاء مبكرًا وفي نفس اللحظة اتصل بهاتفه الآخر الذي كان يستخدمه للزبائن على صديقه (عمر) ليسمع نغمة هاتفه وهو يحدث زوجته المصون.. لتفلح خطة المرأة التي رسمتها له في إثبات صحة اتهاماتها لزوجته وصديقه.. ليغلق الهاتفين وتغرورق عيناه بالدموع.. دموع قهر الرجال!!

- أظنك الآن ستصدقني عندما أخبرك بالنصف الآخر من الحقيقة.

- وهل هناك مصائب أخرى ؟

- ابنك (سامح) والذي تظن أنه في الفرقة الثالثة بكلية الحقوق.

- أظن!!

- طبعاً لم يخبرك أنه رسب عامين في الفرقة الأولى، وقام بالتحويل لكلية الآداب، وأنه مازال في الفرقة الأولى فيها.

- ما هذا الجنون؟ اصمتي.. اصمتي كفاكي.

- اعتمد على عدم اهتمامك، وعدم وجود وقت لديك لتسأل عنه وتكتشف الحقيقة.. بالمناسبة هناك شيء بسيط آخر يتعلق به.

لم يُجِبها هذه المرة، اكتفى من مقاومتها، وجعلها تسكب عليه الحقائق الصادمة كالماء البارد على رأسه.

- ابنك مدمن هيروين، وتحليل دم بسيط يثبت ذلك.

بدأ يصرخ ويضرب رأسه في عجلة القيادة بجنون وحنق وغيظ.

- كفى.. كفى.. كفي.

ثم التفت إليها بغتة..

- من أنت وما مصلحتك في كل ذلك، ماذا استفدتي الآن! بالله اخبريني قبل أن أفقد عقلي.

- هذا دين قديم وأنا سددت نصفه الآن، وبقي النصف الآخر وسأسدده قريبًا جدًا.

- دين قديم!

- نعم.. فقد كنت السبب في قهرتي على فراق زوجي وحب عمري، لأتركه لغيري تستمتع به.. وقهرتني في ابني وفلذة كبدي، صغيري الذي لم أهنأ به وتركته لامرأة غيرى تربيه.. وها قد رددت لك الدين، وأنا أرى قهرتك في زوجتك المصون وابنك البار.

ثم انطلقت منها ضحكة شيطانية مختلطة بالدموع.

- ما هذا الجنون! أنا أول مرة أراكِ في حياتي!

- وأنا أيضًا.. لم نتقابل وجهًا لوجه كان لقاءً عابرًا.. أنا أمر بالشارع لتأتي أنت بسيارتك المسرعة تصدمني وتلقيني على الجانب الآخر من الطريق، وتكمل في طريقك كأنك لم تفعل شيئًا .

كأنها ضربته على رأسه ليستعيد ذكرى حسب أنه نسيها، الذكري التي بسببها كان يشعر بالرهبة والقشعريرة عند المرور في هذا الطريق التي وقعت فيه الحادثة بالتحديد، وتحديدًا في نفس المكان الذي قابل فيه المرأة!

- هل جئتِ لتقتليني.. سامحيني أرجوكي، ولنحمد الله فما زلتِ بخير والحمد لله.

- بخير!!

وقهقهت بصوتٍ عالٍ مخيف وبدأت علامات التحول تبدو على وجهها الجميل!!

عندها لاحظ أن المرآة لا يوجد فيها انعكاسًا لصورتها، وأن الهواء الشديد القادم من خارج السيارة لا يحرك فيها ساكنًا، وهذا جليًا في وشاحها الثابت.

الآن بدأ يفهم....وبدأ يفهم لماذا أصرت على أن يفتح لها الباب بنفسه.. وفسر كل حرف نطقت به، ولكن بعد فوات الأوان فقد تحول وجهها لأبشع وجه رآه في حياته، من المؤكد أنه اكتسب بعض خصيلات الشعر البيضاء هذه الليلة قبل أن يلاحظ أنه فقد التحكم في سيارته، لتنحرف عن مسارها لتنقلب على جنبها قبل أن تنفجر.

المثير للدهشة؛ أن تقرير الطب الشرعي أثبت أنه فقد حياته نتيجة أزمة قلبية حادة، وليس بسبب الحادث وانفجار السيارة، وأن وجهه قد تيبس وهو يوحي بكل علامات الفزع والارتياع.. يبدو أنها قد سددت النصف الآخر من الدين كما وعدته.

تمت الحمد لله

بقلم / يحي الجبالي

رز بلبن

أخذت تسير في السوق ممسكة بالكثير من الأكياس السمراء والبيضاء، بالإضافة إلى الحقيبة الرئيسية المصنوعة من القماش، التي أخذتها معها وقد امتلأت تمامًا، وفجأه توقفت عند بائعة الخضرة تسألها: "بكام حزمة الجرجير يا حاجة" فأجابت عليها: " الاتنين بجنيه ".. وضعت السيدة الحقائب من يدها، وأخذت تبحث عن جنيه في " البوك القطيفة ".. ووجدت الجنيه، وأعطته للبائعة وأخذت الجرجير، وعادت وحملت الحقائب مرة أخرى وأخذت تسير وتنظر يمينًا ويسارًا، وتستمع إلى الهتافات مثل بائع الخردوات: "قربي يا سعاد وخدي كل الحاجات.. أى حاجة بجنيه وربع"، وبائع الدجاج: "قربي وخدي أربع منابات.. الكيلو أربع توراك"، وبائع الخضار: "والخمسة بعشة يا أوطة" وغيرها الكثير من الهتافات، أما هي فأخذت تفكر في إعداد الغداء، وما الذي ستقدمه وقت العشاء، والابن الأصغر الذي يحب اللعب، والابن الأكبر الذي يريد أن يأخذ درس خصوصي في مادة الكيمياء، وأتت الفكرة إلى عقلها مثل القذيفة أن لديها لبن وأرز، وبإمكانها أن تقوم بعمل "رز بلبن" وتضع عليه القليل من القرفة، وترسل بطبق للجيران الذين سبقوا وأتوا لها بطبق من "المهلبيه".. فكرت في كل شيء.. في الطعام، والأولاد، وحماتها وزوجها، ولكنها لم تفكر في نفسها.

بعد وقتٍ ليس بالقليل وصلت إلى موقف الأتوبيس لكي تركب، فلم تجد معها أي أموال وقد كادت الأكياس أن تقطع يدها، فتنهدت تنهيده

أوشكت أن تخرج روحها وقالت: "لسه همشي محطتين!".. وضعت الأكياس على الأرض لتريح يدها، وقررت أن تذهب إلى بيتها سيرًا على الأقدام، حملت الأكياس مره أخرى وأخذت تسير في الكثير من المنحنيات والتقاطعات كي تختصر على نفسها الطريق، وتذكرت تلك الشوارع التي كانت تسير فيها هي وحبيبها في ذلك الوقت الذي أصبح زوجها، وتذكرت عندما كان يمسك يدها ويسيرا معًا وكلًا منهما يخفق قلبه بشده، ويكاد يخرج من ضلوعه من كثرة الفرحة.

وأثناء سيرها والأكياس بيدها رأت تلك الشجرة التي كانا يجلسان تحت ظلها، وقد شهدت تلك الشجرة على حبهما وأحلامها التي لم تتحقق.. فقد كان يقول لها: "سنجعل من بيتنا جنة، سنضحك طوال الوقت، سننجب طفلين ولد وبنت أو ولدين أو بنتين، المهم أن نكتفي بطفلين فقط حتى نستطيع أن نربيهم أفضل تربيه ونعلمهم أرقى تعليم، سأسمي البنت على اسمك حتى أنطق به طوال الوقت، سآتي من الشغل وأساعدك في إعداد الطعام، سأحتضنكِ وأضمكِ، لن أجعلكِ تبكين في أى يوم من الأيام، سآتي إليكِ بكل ما هو غالي، سأعمل على راحتك".. تذكرت كل هذا، فوضعت الأكياس من يدها وجلست على الرصيف، وأخذت تنظر إلى حذائها البالي التالف وكعوب قدميها المشققة والعلامات التي تركتها الأكياس على أصابع يدها إلى أن كادت تقطعها، تذكرت الماضي ونظرت إلى الواقع.. علمت أنه واقع كافر، وأن كل ما كانت تتخيله هي وحبيبها ما هو إلا وهم صنعته المشاعر والحب والاشتياق الذي كان بينهم، وتساقطت دموعها رغمًا عنها، فمسحتها بطرف طرحتها وقامت محدثةً نفسها "أما أقوم أروح عشان ألحق أطبخ للعيال".

أخذ ينظر إلى جميع المحلات ويبحث عن أرخص سعر وأعلى خامة، ويهرول إذا وجد لافته مكتوب عليها " أوكازيونات.. خصم يصل إلى ٥٠%، أراد شراء حذاء لنفسه، ولكنه تذكر حذاء زوجته البالي، والمئات التي يجب أن يدفعها لدرس الكيمياء الخصوصي و"تيشرت الألعاب" الذي يريده ابنه الأصغر، بالإضافه إلى أنه يريد أن يدخل البيت "بحاجه حلوه".. شعر أنها تكاد تكون عملية رياضية معقدة، يعجز الخوارزمي عن حلها، وأثناء سيره ومشاهدته للمحلات دون شراء، تذكر الماضي وتذكر أيام الرومانسية والكلام المعسول والنظرات المتبادلة، تذكر وعوده لها بأنه سيريحها وسيأتي لها بكل ما تريد، تذكر أنه كان يريد إسعادها بأي شكل، كان يتخيل نفسه واقفًا معها في المطبخ، يُعد معها الطعام، وينظر في عينها ويقبل يديها، ويأكلان سويًا فيطعمها بيده ويبتسم إليها قائلا: "ربنا يخليكى ليا ولا يحرمني منك أبدا" فتجيبه: "ولا يحرمني منك يا عمري"، ولكن الآن هو يأكل الكثير من الخبز والأرز كي يشبع، ويوفر اللحوم ليأكلها أولاده، أما هي فتتحجج بأنها "شبعانة.. ماليش نفس"، أو أكلت أى شيء في الطريق، حتى الطفلة التي أراد أن يسميها على اسمها لم يرزقهم الله بها .

وها هو يأتي من الشغل كالميت الذي يسير على قدمين، تحوم بعقله الكثير من المشاكل والهموم، فينسى وأحيانًا يتناسى أن يقول "شكرا" ويكتفي بالصمت، وبعدها يقف في الشرفة بمفرده مبتسمًا للقدر قائلا: "وأنا اللي كنت عايز أقول لها ربنا ما يحرمني منك"، استيقظ من أحلام الماضي على صوت بائع في محلٍ للأحذية قائلا له "عايز أى حاجة يا باشا؟".. نظر إليه الرجل وابتسم، ثم انصرف وقرر أن يشترى "تيشرت الألعاب" ويوفر ما يتبقى من أجل الدرس الخصوصي، وتناسى نفسه

وزوجته، وتناسى وعوده وأحلامه، وقتل خياله وعاش الواقع، فقام بشراء "اتنين كيلو موز عشان يفرح العيال".

اجتمعا على الغداء، فنظر كلٌ منهما في عين الآخر، فرأى الأحلام التي تبددت والوعود الهاوية والحياة المثالية التي كانا يتخيلانها، لم يكن لدى أي منهما شهيه للطعام، فقام وجلس في الصالة وأخذ يغير في قنوات التلفاز كي يشغل نفسه بأي شيء آخر، وانقطع الصمت بصوتها قائله: "خد ياواد طبق الرز بلبن ده طلعه فوق" فرغمًا عنه ابتسم، فكم يعشق رقه صوتها فقام وقال: "مش هتدوقينا الرز بلبن يا عسلية انتي؟".. ضحكت وتملكها الخجل.

وقالت: "اختشى يا راجل"

فقال لها:" أنا هدخل افرد ضهري.. ابقي دخليلى الطبق جوا وغمز بعينه".

فضحكت وتناست تعب اليوم، وكان هو في قمة سعادته، دخلت عليه ممسكةً بالطبق، فأخذه منها ووضعه بجانب الفراش وأمسك بيدها وقبلها وقال: "وحشتينى"، فتورد خداها وقالت: "وانت كمان"، فامسك بطبق الأرز بلبن وأخذ يطعمها، وتقاسما الطبق كما تقاسما الحياة طوال عمرهما.

ومر اليوم مثل باقي الأيام مابين "اقعد ذاكر يا واد" و "بابا أنا عايز حاجه حلوه" و "ماما اعمليلى سندويتش أي حاجه" و "حاضر بس اقعد انت ذاكر" و"أنا نفسي في آيس كريم" و "الكوتشي بتاعى اتقطع عايز انزل أصلحه" و "انقطع! ماانت بتمشي تشوط الزلط والطوب".. طلبات

لا تنتهي وكلمه "حاضر" أصبحت تُنطق لا إرادى، وفي الليل، استلقى كلٌ منهما على الفراش شبه الميت.. فأمسك كلٌ منهم بيدِ الآخر.. ومات موتته الصغرى.

وفي الصباح.. استيقظ كلٌ منهم والابتسامة تملأ وجهه.. لكي يبدأ مأساته ومعاناته من جديد.

تمت

بقلم / محمد الفلاح

رقصة الفرح

في الحي الهادىء المليء بالأشجار

يمتلئ الشارع الفرعي بزينة كثيرة.. تمامًا كما اعتاد الدكتور خالد أن يفعل في كل مرة من زواج أبنائه.

فروع النور المنسدلة على بيت الدكتور، تملأ الحي بهجة، وتوحي بأن الدار اليوم سيزف عروسًا جديدة إلى دار جديد، ودنيا جديدة!

هاهي أصوات الموسيقى الجميلة، وضحكات أصدقاء العروس والأقارب تعلو كلما اقتربت من الدار.

إنه البيت الذي يُشع فرحًا.. وكيف لا.. ومن البيوت ما يكون له طعمٌ في الفرح مثير ورائع !

وليس صوت البهجة فقط كلما اقتربت.. بل إنها رائحة الكعك المثيرة للشهية، التي تصر زوجة الدكتور خالد أن تعدها بنفسها لضيافة المهنئين من الجيران والأحباب أيضا، فتهيىء لك رائحة الكعك تلك.. أن العيد قد أتى قبل أوانه!

إنها "سهام" امرأة أربعينية.. اكتمل لها من نصاب الأنوثة والجمال، كما اكتمل لها من نصاب الحياة ما ليس بالقليل !

هاهي بداخل المطبخ والعمل على قدمٍ وساق في إعداد حلوى الفرح، وفي إعداد طعام العروسين، تماما كما أهدت أولادها في أفراحهم!

تقف وقد أخرجت من الفرن الكعك الساخن ذا الرائحة الشهية.. لتنثر عليه حبات السكر الناعم وتعده للتقديم،

والذي قد فرغت للتو من إعداده

تلتفت..

هلا كففت يارجل عن ملاحقتي بعينيك طوال اليوم !

بابتسامته المعتادة: وكيف أكُف؟ وأنت اليوم أجمل من ابنتك العروس !

تضحك سهام وتقول: بل أنت الأجمل دائما!

هلا تركتني فأعد الطعام.. وإلا جلست إليك نتغزل سويا.. ويعد غيري طعام العروس !

لا لا، ياله من عقاب لابنتك لاداع منه.. فلا أجمل من طعام تعدينه أنتِ!

تضحك ثانية وتكمل إعداد مالذ وطاب لعشاء العروس.. التي أوصتها بما تحب من صنوف الطعام .

ما إن فرغت سهام وغلفت الطعام.. حتى نادت على (ابنها البكري).. هلَّا أخذت الطعام وأوصلته إلى شقة أختك؟

- طبعا ياأمي.. (ربنا يديكي الصحة والعافية.. وعقبال ماتعملي لولادنا)!

تربت الأم على كتف ابنها وتبتسم قائلة: (تعيش ياحبيبي).

خرجت سهام وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة رضا.. كل شيء يسير على مايرام.. العروس في غرفتها تزينها صديقاتها.. البيت يضج بأصوات البهجة والفرح.. وكيف لاتشعر بالرضا وأسمى ماترجوه كل أم هو فرحة في دارها، وسعادة لأبنائها كتلك!.

تطرق باب العروس.. فتفتح لها إحدى صديقات ابنتها.. لتتلاقى عيناها وعينا ابنتها.. فتقول العيون قبل أن تنطق الشفاة كلمات من الحب كثيرة، وتُذكِر بحكايات من العمر كله .

ماأجملك حبيبتي.. أنتِ اليوم جميلة كالأميرات.. فليكتب لك الله التوفيق في ليلتك وفي حياتك.. وتطبع قبلة على جبين ابنتها وتأخذها في حضن طويل.. فتمنع العروس دموعًا كثيرة.. حتى لا تبدأ في الزينة من جديد!

في حديقة المنزل.. يقف أحمد وسط مجموعة من الأصدقاء والأحباب يتسامرون ويضحكون، يستقبل مكالمة هاتفية..

- دكتور سعيد

- أهلا أحمد

لن أوصيك اليوم على أمك.. اليوم مهم جدًا حتى لايحدث أي انتكاس.

يطرق برأسه، طبعا دكتور سعيد.. طبعا.

تصعد الأم إلى الدور العلوي من المنزل لتغير ملابسها وتعد نفسها للعرس الذي أوشك على البدء.

أليس هو اليوم الموعود ياخالد؟

أتمنى أن يكون هو اليوم، فأنا لا أطيق مزيدًا من الانتظار.

تمضي سهام وتكمل في إعداد نفسها للعرس.

وكلما مر الوقت زاد الهرج!

وبدأ جميع من في الدار يسرعون.. كلٌ يعد نفسه لساعة الفرح.

تزوجت سهام بالدكتور خالد وهي صغيرة.. أحبها وأحبته، منذ أن نبض القلب، العين لم تنظر لسواه، والقلب لم ينشغل بأحد غيره!

لم تكن علاقة زواج عادية

إنك لاتدري.. أهي روحٌ واحدة وانقسمت في جسدين! فالأمر أكبر من الحب بكثير!

يوشك الجميع أن يخرج من البيت لقاعة الفرح.. حيث سيتم عقد القران والزفاف.

ارتدت سهام ملابس الفرح، أنيقة كعادتها، مبهرة للجميع بذوقها الرفيع، تنزل من أعلى درجات السلم كأنها ملكة تتأهب لزفاف ابنتها الأميرة.

ماما! ماأبهاكِ!.. ويقبل يديها ويحتضنها ابنها أحمد، وينظر إلى وجهها نظرة حب كبير، ولا يدري لم تلك القبضة التي وقعت في صدره فجأة! وكأنها نغمة خارج السياق تمامًا!

ها قد وصل العريس..

تعلو زغاريد الفرح وهرج المدعوين، وهمسات الفتيات، وكلٌ يحاكي أمانيه ويتمنى الأماني!

تخرج العروس من غرفتها بثوبها الأبيض البهي، مزين بفصوص كاللؤلؤ لامعة، يغطي وجهها قطعة من "التل الشفاف"، تطل منه ملامحها، جميلة بابتسامة خجلة، لم تستطع أن تخفي الفرحة الغامرة،وكيف لمن سُقيَ الحب أن يخفيه.

إلى قاعة الفرح يتجه الجميع، ولم يبق في الدار إلا فروع النور المنسدلة، تتراقص أضواؤها على شرفته.

في قاعة الفرح..

البهجة تعم المكان، الأنوار لامعة، الملابس أنيقة، كل شيء في أبهى صورة.

يلتقط الأحباب الصور في انتظار المأذون لعقد الزواج، هاهو قد أتى، يتقدم العروسان ليجلسا إلى جواره، تتعالى الأنفاس ودقات القلوب، ويُظهر التصوير لاحقا رعشة الأيادي وتردد الكلمات.

تقف سهام وابنها أحمد على باب القاعة في استقبال المزيد من الضيوف والأحباب جاءوا ليشهدوا ذلك الفرح البهي.

ويقف بالقرب منهم الدكتور سعيد.

تلتفت إلى ناحية المأذون ترى ابنها الكبير يجلس إلى جوار المأذون وكيلًا للعروس.

تعلو وجهها الدهشة

أحمد.. نعم ياأمي..

لم لاتنادي على أبيك قبل بدء العقد.. كيف يجلس أخوك مكان أبيه؟!

يطأطئ أحمد رأسه، ويرفع عيناه التي تمتلىء بالدموع وكأنها كانت تنتظر إشارة واحدة لتفيض، أحاول أن أتناسى أن أبي ليس معنا اليوم، أبي غاب عنا بموته من ٣ سنوات.

يأخذ بيد أمه بعيدًا عن القاعة قليلا قبل مزيد من الارتباك.

الدكتور سعيد على أهبة الاستعداد، فهو يتوقع تمامًا ماسيحدث!

لازالت كل يوم تحدثه.

كل يوم هو موجود.

فليقولوا مايقولوا أنه مات.. هي تأبى أن تصدق ذلك.

لم ينقذ الموقف إلا حقنة مهديء من الطبيب، وحضن دافء من ولد حنون لأمه التي لاتصدق مهما مرت السنوات أن حبيبها قد مات!

هاهي تنام بين يديه بعد أن هدأت.

تحلم أنها في قاعة الفرح ذاتها.

وترى كل الناس ولكن كأجساد بلا عيون أو ملامح.. فتجري خائفة فتصطدم بأحدهم.. إنه هو، بابتسامته.. يمسك بيديها فتطمئن، ويدعوها لرقصة هادئة.

فتدور بين يديه وتدور كأنها فراشة في حلم جميل.

لقد عانقت روحي روحك.. كل الناس في عالمهم وأنا في عالمك، أنا فيك وبداخلك، لقد رقصت بين يديك أجمل رقصة فرح رقصتها عروس بين يدي حبيبها، فيها رقص قلبي بين ذراعيك في انتظار حضنٍ طال انتظاره.. لقد قصصت لي وقصصت لك، أيامًا وسنوات وأنا أدور بين ذراعيك، وبلقاء عينيك.. عاد العمر الذي ضاع في غيابك، وكيف لا.. وأنت كل العمر.. لم تكن غائبا، كلهم غائبون.. وأنت كل الحضور.

تمت

بقلم / الشيماء قناوي

سنلتقي يومًا ..!!

إهداء..

إلى كل من علمني حرفا ، أو غرس بداخلي قيمة سامية..

إلى الأحباء الراحلين الذين لطالما افتقدتهم في حياتي..

إلى كل صابر ومحتسب..

أهدي هذه القصة..!!

المأخوذة من ..

واقع الحياة..!!

******

الإنسان ..

عجيب هو ذلك الكائن

عجيبة هي مشاعره المختلفة والمتضاربة تبعًا لاختلاف الظروف.. والأعجب هو صبره وتحمله لمآسي الحياة وصدماتها، أو دفن نفسه ليغرق فيها، فيزهد الحياة بأسرها.

دائما ما تشدني التجارب الإنسانية والأحداث الحياتية للبشر..

أستمع إليها وأندهش، أحللها بعيني خبير تارة، وأندهش لها بعيني طفل بريء قليل الخبرة تارة أخرى..

وبين ما رأيته وما سمعته أنقل إليكم منها ما أظنه قد يفيدكم، أو يضيف إلى خبرتكم في ذلك البحر الهائل المتلاطم الأمواج.. الحياة!

******

لم يطف بمخيلة ماجد يومًا أن يحدث له كل ماحدث!

لم يتوقع يومًا أن يفقد كل من أحب؛ واحدًا تلو االآخر!

جلس ماجد على الصخرة الوحيدة على الشاطيء يراقب تدفق الأمواج وتكسرها، ثم انحسارها عن الشاطيء ..

وحيد هو كهـــذه الصخرة.. موحشة حياته كشاطيء جميل المنظر، مترامي الأطراف، لا يراه أحد من البشر!

لم يشعر في حياته بالغربة إلا الآن.. حتى بعد وفاة أمه الحبيبة وهو بعد صغير!

ما زال يذكرها.. حديثها العذب،حنانها، كلماتها الرقيقة..

ما زال يذكر كيف توقف عقله عاجزًا أمام وفاتها، لم يستطع ذلك الطفل بسنواته الست أبدًا استيعاب فكرة الموت.. اختفاء من يحب، رغم حضوره في قلبه.

أخبره أبوه وهو يبكي ويحتضنه أنها ماتت، ذهبت للقاء ربها..

يومها سأله ماجد ببراءة: "ومتى تعـــــــــود؟.. وهل يستغرق اللقاء كل هذا الوقت ؟"

انهمرت الدموع من عيني والده ولم يُجِبه..

أجابته الأيام والشهور والأعوام الطويلة عن سؤالـــه..

وقتها لم يجرؤ يومًا على أن يسأل نفسه سؤال خشي كثيرا من إجابته: "تُرى هل يتركني أبي ويرحل؟!"

وعندها كانت تتجمع الدموع في عينيه، وينفض رأسه مستعيذًا بالله ومحاولًا إبعاد الفكرة عن رأسه..

مرت السنوات.. واشتد عود ماجد وزاد التصاقه بأبيه، وتعلقه به..

لطالما كان ماجد ولد ذكيّ، قوي الملاحظة، سريع التعلم، أحب البحـــر منذ صغره، إن البحر في تقلبه لهو صورة مصغرة من الحيـــاة..

وكلما جذب ماجد الأنظار بتفوقه ونجاحه وحبه للعلم وفضوله للمعرفة؛ كلما ازداد به والده فخرًا وتعلقًا..

"ماذا تفعل يا أبا ماجد ؟!"

أغلق أبو ماجد دفترًا كان في يده، ووضعه في صندوق صغير وأجاب ابنه مبتسما:

"أكتب وصيتي.. أقوم بإعداد الإرث"

انقبض صدر ماجد، وأقبل على والده قائلا:

"رزقك الله طول العمر يا أبي.. لا تقل ذلك ثانيةً أبدًا"

ابتسم والده قائلا:

"كلنا سنغادر الدنيا يومًا يا ولدي، لكننا سنلتقي ثانية، سنلتقي يومًا.. أنا، وأنت، وأمك، وكل من نحب.. فإذا أتى ذلك اليوم ياولدي؛ فاجعلني

فخورًا بك.. قد أغادرك اليوم، ولكني سألقاك غدًا.. في يومٍ لا فراق بعده، فإذا أتى ذلك اليوم فافتح هذا الصندوق، ولا تيأس يابني يومًا من رحمة الله، وتذكر دائمًا أننا نفترق لنلتقي.."

لا يدري ماجد لماذا بكى كثيرًا في هذه الليلة! أيُحتمل أن يعيش يوما بلا أب؟!

أيُعقَل أن يتجرع مرارة اليُتم مرةً أخرى؟!

وبعد هذه الليلة بعام.. مات والده..

لم يبكِ ماجد يومها.. تحجرت الدموع في عينيه، واعتصرت قبضة باردة قلبه؛ كأنما تنهمر دموعه إلى داخل قلبه، فتغرق روحه في مزيج عجيب من الغربة والألم واللوعة..

رباه.. أهكذا ينضج الأطفال؟! أهكذا يصبحون رجالًا، بأن يفقدوا من يحبون واحدًا تلو الآخر؟!

لماذا؟!

"لماذا يحدث لي كل هذا؟"

تململ ماجد في جلسته على الصخرة ولملم مشاعره المبعثرة ليعود أدراجه إلى البيت الذي شهد سنوات من السعادة والحزن..

لم يجرؤ ماجد منذ وفاة والده منذشهور على أن يفتح الصندوق الصغير..

والآن.. اشتاق لوالده، فقرر فتح الصندوق، وقراءة ما في الدفتر؛ لعله يشعر بروح أبيه ترفرف من حوله لتحتضن أحزانه..

فتح ماجد الصفحة الأولى، لتنهمر من عينه دمعة ذاهلة وهو يقرأ..

كانت الصفحة الأولى عبارة عن سؤال وإجابته..

السؤال كان:

"لماذا يحدث لي هذا؟!"

وكان الجواب:

"لأن الله يريدك أقوى"..

وفي الصفحة الأخيرة من وصية الأب الحنون لابنه كتب:

"سنلتقي يومًا يابني.. اجعلني فخورًا بك"..

وبين الصفحة الأولى والأخيرة كان هناك كنزٌ آخر.. نصائح وخواطر، ويوميات من حياة والده، وعبارات مأثورة عن الأمل والمستقبل، والعلم والمعرفة والحياة..

قرأ ماجد وقرأ.. كانت دموعه تغلبه تارة، وتغلبه ابتسامة تارة أخرى..

حكى له أبوه عن يوم ولادته وعن مواقف طريفة من طفولته وصباه، واختتم الأب كلامه بهذه العبارة:

"تستطيع أن تقدم لي الكثير ياولدي.. أكثر مما تتخيل"..

يومها لمعت عينا ماجد إصرارًا وعزمًا، وأضمر في نفسه شيئًا

******

(بعد مرور عشر سنوات)

طرق ماجد باب المكتب ليسمع صوتًا يأذن له بالدخول: "أستاذة مرام الحسيني.. قرأت كثيرًا من مؤلفاتك، وأعجبتني كثيرًا.. اسمحي لي بتقديم نفسي..أنا..

قاطعته مبتسمة بأمومة: " غني عن التعريف يا ولدي.. طبيبٌ عالِم، حقق الكثير من النجاحات، واخترع آلات جراحية في سن صغير"

ابتسم بخجل قائلًا: شكرا لك أستاذتنا.. أتيت إليكِ اليوم لتحقيق ما عاهدت عليه نفسي يوما.. أُريد أن أُحَّول هذا الدفتر الصغير الذي يحوي يوميات أبي إلى مذكرات في كتاب مطبوع باسمه.."

انطلق ماجد يروي لها قصته وماتعرض له في طفولته من فقد الأم ثم ما تعرض له في شبابه بعد وفاة أبيه..

انسابت الدموع من عيني مرام، وتعجب كثيرا لتأثرها، وعدته بقراءة الدفتر والرد عليه في أقرب وقت، بكت مرام في تلك الليلة كما لم تبكِ من قبل.. ما أرحم الله إذ أرسل إليها من يهون عليها مصابها من حيث لا تدري..

توفى زوجها منذ عشر سنوات وهو ما زال شابًا؛ تركها وهي حامل في شهورها الأخيرة، وقد سمى هذا الابن..

"أحمد".. هكذا اختار له اسمه وترك لها حبًا يملؤ قلبها، وذكريات رائعة، وطفلًا جميلًا، ملأ حياتها نورًا وسعادة..

لكم تمنى زوجها أن يرى هذا الابن ويعلمه بنفسه كيف يشق طريقه في هذه الحياة، كيف ينجح وكيف يقاوم الفشل.. كيف يصبح محبًا للعلم.. كان زوجها ليكون نسخة أخرى من والد ماجد.. هذا الأب الحنون المحب لولده..

وبينما بللت دموعها خديها، ورأت في ماجد طيف أمل يأتي من المستقبل لينير درب أحمد ولدها.. أمسكت بالقلم وكتبت قصة، كأنها تكتبها لولدها أحمد، ولماجد ولكل أحمد وماجد على وجه الأرض؛ بدأتها بعنوان:

" سنلتقي يومـــا"..

"هل تريد أن تعلم لمَ تقسو عليك الحياة؟ لمَ يحدث لك كل ذلك ؟!"

- "لأن الله يريدك أقوى"..

وكانت هذه القصة التي بين أيديكم..

تمت

بقلم / شيـــماء محمـــــود

سيدة القطار

لم يستطع خالد أن يأخد ما يكفيه من نومٍ عميق، حيث لم تتعدى لحظات سكونه المائة دقيقة، انطلق بعدها ليسافر إلى مدينة القاهرة في تمام السابعة صباحًا، وبعد مشوار استنفذ فيه كل طاقته، حان وقت العودة، و كانت الساعة تشير حينها إلى الواحدة والربع ظهرًا، وقع اختياره على قطار "٩٧١" مكيف الهواء، قادم من سوهاج متجه لبورسعيد، موعد قيامه من محطة القاهرة الساعة الثانية إلا الربع، بطبيعة الأحوال.. من غير المتوقع العثور على تذكرة لأن طبيعة الحجز ليست بالعشوائية، فلكل محطة يتوقف بها القطار مقاعد مخصصة محدودة العدد، و بالصدفة القدرية، فاز خالد بتذكرة من ضمن آخر ثلاثة تذاكر متاحين على القطار بأكمله، بدايتها القاهرة، نهايتها المكان المراد الوصول إليه (الزقازيق)، وكان موقع المقعد في عربات الدرجة الأولى، تحديدًا في العربة الثالثة مقعد رقم ٢٤، ومن حسن الحظ أن القطار الذى يقطع مسافة خمسمائة كيلو -متعدد الوقفات- يصل القاهرة في زمن قدرة ثمانية ساعات، كان قد وصل فى موعده على غير المتوقع، بمجرد جلوس خالد على مقعده فى تمام الواحدة و النصف مساءً، استغرق في نومٍ عميق مستحق، بعد أن عدَّل من وضع مقعده ليصبح أشبه بالسرير المائل بزاوية منفرجة، و تمر بضعة دقائق إلى أن أفاق وعيه على صوت جهوري غليظ، تمتلكه سيدة تظهر عليها ملامح الأربعينيات من العمر، تضع على وجهها ما يعادل نصف مساحيق تجميل نساء العالم بأكمله، تزن من الكيلو جرامات ما يتعدى المائتين كيلو جرام..

- هو دة كرسى رقم ٢٣

- ايوة هو حضرتك

تجلس السيدة بعد أن احتواها مقعدها بصعوبة، وفي نفس اللحظة يغادر القطار محطة القاهرة لاستكمال رحلته المقررة، وبعد عدة دقائق سيطر عليها الصمت في جميع الأركان

- هو انتوا ليه كده؟ ليه القسوة دي كلها؟

- نعم حضرتك! احنا نعرف بعض أصلًا علشان يبقى فيه بينَّا قسوة أو حنية!

- أنا أسفة.. مش أقصدك انت بالذات.. أنا أقصد انتوا كلكوا يا رجالة، قاسيين ووحشين

- أنا أسف حضرتك، أنا مُرهق جدًا.. مش قادر أركز، ممكن تسيبنيى مع نفسي شوية؟

- انتوا كده يا رجالة، وقت الجد بتهربوا..

- يا مدام ارحمينى، هو انتِ تعرفيني أساسًا! لو سمحتِ بلاش إزعاج، أنا في أشد الحاجة للراحة..

- أراد خالد أن يغادر مقعده، و يبحث عن راحتة في مقعد آخر شاغر، و لكنه فوجيء بحال القطار، فجميع المقاعد sold"

"out"، إذن فهو القدر الذي جعل خالد مضطرًا لتحمل امرأة ثرثارة، عكرت عليه صفو وحدته!

- قبل أى حاجة، ممكن اتعرف بحضرتِك؟
- عزيزة، بشتغل أمينة معمل في مدرسة حكومية في القاهرة وانت؟
- عمر فاروق العدل، محامي جنايات..
- وكمان محامي! أشوف فيكوا يوم يا رجالة..
- ليه كده! إيه اللي مزعلك من الرجالة والمحامين! قولي اللى عندك وخلصيني، أنا عارف إن مش مكتوبلي أنام في أم السفرية المهببة دي..
- جوزي ربنا ياخده، سابلي البيت وطفش وطلقني غيابي، واتجوز واحدة من بنات اليومين دول، عندها ١٨ سنة، يرضيك كده! يسبنى يتيمة مكسورة الجناح!
- أيوه طبعا يرضين..
- نعم؟ هو انت علشان محامي، هتصدق نفسك و هتعيش الدور عليا؟ ولَّا علشان رجالة زى بعض هتدافع عنه!

- يا مدام عزيزة كل واحد ينام على الجنب اللي يريحه، جوزك مبقاش حابب يكمل حياته معاكي، قوليله مع السلامة.. وشوفي نفسك، لو كان شاف منك أى حاجة حلوة؛ أكيد كان هيتمسك بيكِ، أكيد هرب منك علشان ميكونش دلوقتى مكاني بيتعذب و بتتكفر ذنوبه..

- تتحول عزيزة من حالة انفعال متوسط الحدة، إلى حالة فوران عارمة مكبوتة، مصحوبة برمقة من عينيها الجاحظتين شديدي السواد تجاه خالد المسكين، وكأنها أنثى الدُّب التي تتوعد للذئب الذي يسعى للعبث والفتك بصغارها، ليسود بعدها الصمت الجو العام مرة اخرى، بعد أن ذهب النوم بعيدًا عن خالد الذى بدأ في سماع أغانى معشوقتة (نوال الكويتية)، سارحًا في روعة إحساسها، حتى وصل القطار مدينة بنها في تمام الثانية والنصف إلا خمس دقائق، وقبل أن يغادر القطار محطة بنها، تملَّك النوم من خالد بشكل سادي فتاك، جعل منه إنسان بلا إحساس، كالجائع الذي عثُر على طعامه بعد عناء، وعند تمام الثالثة عصرًا، أيقظت عزيزة خالد بصوتها العالي الرخيم، وجعلت توخزه في ذراعه، فنهض خالد من مقعده يتملكة صداع فتاك شديد الألم، يلتهم كامل جمجمته، ناظرًا إليها في حنق، وقبل أن يبدأ في لكم جبهة عزيزة.. بادرته بالحديث دون أن تدرك ما شرُع في ارتكابه في حقها..

- احنا وصلنا الزقازيق، فلو كنت هتنزل الزقازيق.. ياللَّا بسرعة انزل علشان القطر هيمشى حالًا
- اه فعلًا.. أنا نازل الزقازيق، شكرًا
- العفو.. أشوف وشك بخير..
- هو أنا ممكن أقولك حاجة، ومن غير زعل!
- اه طبعا و ماله، انت زي أخويا الصغير
- فصرخ فيها.. انتي طالق

- قالها خالد بقوة، ليتخلص من الطاقة السلبية التي ألحقتها به، وفي ظرف ثوانٍ معدودة؛ غادر خالد القطار خوفًا من أن تلحق به عزيزة، في حالة أرادت الفتك به، وأيضًا قبل مغادرة القطار مدينة الزقازيق، حيث أن المحطة التالية المقرر وقوفه فيها هي (الإسماعيلية) مباشرةً، والتى تبعد عن محطة الزقازيق نحو ثمانين كيلو، يقطعها القطار بلا توقف في فترة زمنية تتعدى الساعة وبضعة دقائق قليلة، وبمجرد خروج خالد من القطار الذي أطلق صافرة المغادرة استكمالًا لرحلته المقررة إلى بورسعيد، حتى اشتدت ألام رأس خالد بشكل أكثر حدة، لتجعل منه إنسانًا لا يبحث عن الأكسجين بقدر ما يبحث عن مسكن قوي، لتكسين الحرب العالمية المنعقدة فى رأسه، يتناول خالد المسكن الملائم لحالته، اشتراه من صيدلية

المحطـة، ويصـل بعـدها لمنزلـه، لا يبغـي شـيئًا سـوى سـريره الخـاص، ليقبـع بداخلـه فـي نـومٍ عميـق لمـدة عشـر سـاعات متواصلة، ليصحو بعدها بكامل حيويته و نشاطه، على زقزقة الطيور، معلنة شروق شمس يوم جديد، يأمل ألا يصادف فية من هي مثل عزيزة، ولا يصاب فيه بآلامٍ مبرحة.. أبعدها الله عن كافة عباده.

تمت

بقلم / خالد مجدي

شفرة هورس

في رحلتهما إلى مدينة الإسكندرية، برفقة طفلتهما الصغيرة نهاد، لم يكن محمود يتخيل أنه سيفقد زوجته وابنته معًا دفعة واحدة.

في جولتهما الأولى ليلًا بساحة المدينة، جذبها سحر متجر أعشاب أنيق وأخاذ بألوانه الزاهية، ونور مصابيحه الحمراء الخافتة الإضاءة، ورائحة الأعشاب البرية تستفز كل الحواس والذكريات، حتى الغابرة منها، وتدعوك لاقتحام المتجر.

هي رائحة الحناء من فجرت ذكرياتها، دخلت المتجر وصعدت الطابق العلوي حين دلَّها البائع على وجود الحناء هناك، تاركةً زوجها مع طفلتهما خارجًا قرب المدخل.

كانت رضيعة وديعة في شهرها السادس، يجر والدها عربتها وهي نائمة بداخلها كملاكٍ صغير بأجنحة بيضاء، حتى ظهر فجأة شخص يعزف على قيثارة كلاسيكية ويسأل الناس إلحافًا، مد محمود يده في جيبه وأخرج درهمين، وناولهما للسائل المتربص بهما، وترجاه أن يُوقِف عزفَه ويرحل من أمامه، كي لا يوقظ طفلته، لكن الرضيعة نهاد كانت قد استيقظت بالفعل وأطلقت صرخة مدوية، حملها بين ذراعيه في محاولة يائسة لإسكاتها، لكن دون جدوى.

- أين أنتِ يا منال؟ يسأل في جوفه عن زوجته ويتعجب تأخرها!

ارتفع صراخ الصغيرة وأبت أن تسكت، رغم محاولات والدها اليائسة لتهدئتها، لاحظت سيدة أجنبية هذا المشهد فعرضت مساعدتها، طلبت من الزوج حَمل الرضيعة، فرضخ لطلبها بعدما اطمأن إليها من خلال تعابير وجهها البريء الذي كشف عن إعجاب شديد بالصغيرة نهاد، سألته عن أمها، فأجابها بأنها دخلت المتجر ولم تعد بعد، أخذ هاتفه يحاول جاهدًا مهاتفتها، لكنه لا يرن وكأنه مقفل على غير عادتها!

كانت الرضيعة قد صمتت في يد المرأة الأجنبية البريئة الملامح، يئس محمود من الانتظار وانقطاع أمله من الهاتف، اقترحت عليه المرأة الأجنبية أن يذهب للبحث عن زوجته في الطابق العلوي بينما تعتني هي بطفلته إلى حين عودته.

- أوتفعلين هذا من أجلي؟ هل أثق بك؟

- وهل توحي لك ملامحي بأنني امرأة خبيثة؟ إنه عمل إنساني، أفعل هذا من أجل الطفلة فقط.

- معك حق، لقد ارتاح لك قلبي منذ أن رأيتك، كما أن الصغيرة نهاد قد اطمأنت إليك على ما يبدو! حسنًا لابأس، لن أتأخر، هي دقيقة واحدة فقط وأعود فورا.

ترك الصغيرة بين أحضان المرأة الأجنبية وراح يبحث عن زوجته الغائبة، صعد الطابق العلوي فلم يجدها ثم عاد يبحث في الأسفل لا أثر لها! غريب!

صعد مجددا فلم يجد إلا زبونين وثالثهما البائع صاحب المحل، سأله عن زوجته واصفًا له إياها، فأجابه بأنها غادرت منذ مدة وأخذت معها الحناء ودفعت ثمنها.

- ماذا! هل أنت متأكد؟ كنت عند مدخل المتجر طوال الوقت، لم أبرح مكاني أنتظر خروجها، كيف يعقل أن تخرج دون أن أراها؟

- ربما قصدت متجرًا آخرًا.

- هل يوجد باب ثاني في هذا المتجر؟

- لا.. هو باب واحد فقط.

- لا يمكنها أن تقصد محل آخر دون أن نذهب معًا، أو على الأقل كانت ستعلمني بذلك! غريب فعلا! هذا ليس من عادتها! تعرف أن الطفلة بحاجة إليها.. الطفلة، الطفلة.. آه تركتها مع تلك المرأة.

تفصد جبينه عرقًا، فأسرع ليتفقد طفلته.. نزل إلى مدخل المتجر عند الباب فلم يجد أحدًا، لا الطفلة ولا المرأة الأجنبية ولا العربة كذلك، سأل الشبان الواقفين أمام باب المتجر إن كانوا قد رأوا امرأة تحمل طفلة رضيعة في عربة واصفًا لهم شكل المرأة والعربة والطفلة.. أجابه أحدهم بأنه رأى امرأة بتلك المواصفات، تركب سيارة "تويوتا" سوداء كبيرة الحجم مع زوجها وسمعه يقول لها من أين أتيت بالفتاة؟

- ماذا ! هل أنت متأكد؟

- أجل لقد رأيتهما بأم عيني.

- يا ويلتي، يا ويلتي.

صرخ محمود بطريقة هيستيرية وأمسك برأسه يبكي طفلته وزوجته.

اجتمع الناس حوله فحضرت الشرطة، وأخذت أقوال الزوج والبائع وأقوال الشهود، وأخذت شريط كاميرا المتجر أيضا.

عند إعادة الشريط المصور، تبينت عملية الخطف التي قامت بها السيدة الأجنبية، وسرعان ما تم العثور على عنوان سكانها من خلال رقم لوحة سيارة زوجها التي ظهرت على الشاشة، فتم إلقاء القبض عليها هي وزوجها واستعاد محمود طفلته، بينما زوجته لا تزال مفقودة وهاتفها مقفل.

أصر محمود على أن صاحب المحل هو خاطفها مستدلًا بشريط الفيديو الذي لم تظهر فيه زوجته وهي تخرج من المتجر، بينما ظهرت على الشريط وهي تدخله، كما أنه أضاف بأن زوجته تركت محفظة نقودها معه، بينما يصرح صاحب المتجر بأنها دفعت ثمن الحناء، ويصر محمود على أنها لا تحمل معها مالًا.. ألحَّ محمود أيضا على الشرطة كي تفتش المتجر وتتأكد من أن زوجته غير مختطفة هناك عند صاحب المتجر.

وافقت الشرطة بعدما أخذت إذن المدعي العام، ذهب المحقق مع فرقته قصد التفتيش، وأصر محمود على مرافقتهم بعدما ترك طفلته بين أيدي شرطية هناك ترعاها، تفقدوا المتجر وفتشوه شبرًا شبرًا، لكن لا أثر لزوجة محمود! يئس المحقق وفرقته وهبُّوا للانصراف، فاعترض محمود وأَبَى أن ينصرف دون زوجته، دخل المرحاض واجمًا ليغسل

وجهه، فتح صنبور الماء وغسل وجهه ثم نظر إلى المرآة يسأل نفسه: أين أنت يا منال.. أين أنت؟ فسمع بعدها طرقًا خفيفًا متتاليًا يتقطع ويعاود الكرة بنفس الإيقاع، منبعثًا من لا مكان، وكأنها شفرة مورس! تعجب الأمر!

- من هناك؟ هل يوجد أحد هنا؟ سمع بعد سؤاله طرقة.

- من هناك؟ طرقة استجابة أخرى.

- هل هناك أحد؟ طرقة أخرى.

- هل هذه أنت يا منال؟ سمع بعدها طرقتي تأكيد.

- هل أنت هنا في المرحاض؟ سمع بعدها طرقتين متتاليتين.

أعاد طرح السؤال فتكرر الأمر.

- هل تريني؟ فسمع ثلاث طرقات.

بعد ذلك أيقن أنها زوجته تحاول التواصل معه بهذه الطريقة، فكر مليًا وقال بما أنها تراني لن يكون ذلك إلا من خلال المرآة المغروسة في الجدار، استدعى محمود المحقق وأخبره بالأمر وكان صاحب المتجر حاضرًا يترقب، أخبر محمود المحقق بأن زوجته توجد خلف جدار المرآة.

- ما الذي تقوله يا رجل! هل فقدت عقلك؟

- يبدو أنك مُصِّر على أن لا تصدقني! لكنني سأثبت لك صحة ادعائي. اسمع بنفسك، ثم بدأ يتحدث عبر المرآة مع زوجته.

- هل أنت هناك يا منال؟ فتطرق طرقتين ويستغرب المحقق وفريقه.

- ويسأل محمود مجددا، هل أنت خلف المرآة؟ فتطرق مرة أخرى طرقتين إيجابًا.

عندما رأى صاحب المتجر ذلك، لاذ بالفرار فلحقه أحد أفراد الشرطة ووضعه تحت القيد، وعاد المحقق يفحص الجدار الذي يوجد به المرآة العجيبة فوجد بعد فحصه؛ أنه باب على شكل جدار، فأرغم صاحب المتجر على فتح الباب السري، فأدار هذا الأخير كارهًا المرآة رأسًا على عقب، فانفتح الباب وخرجت الزوجة خائفة مذعورة، مكممة الفم، مقيدة اليدين والرجلين لم ينفعها إلا ذلك الكرسي الحديدي الذي كانت تجلس عليه وهي مقيدة خرساء، ولولا ذلك الأنبوب أيضًا الذي يوصل الماء إلى الصنبور؛ لما استطاعت الاتصال بزوجها الذي دخل المرحاض صدفة.

عادت الزوجة إلى زوجها، والطفلة إلى والديها، وأُودع الخاطفان السجن بعدما تبين أنهما يشتغلان في تجارة البشر، ولم تُلغَى الرحلة بعدما وعد الزوجان بعضهما بعدم الافتراق وعدم الثقة في الغرباء، ولولا إصرار الزوج وصلابة الزوجة لأُقفلت القضية، لكن عندما تزداد المسؤولية ترتفع قوة التحمل وتتحقق المعجزات.

بقلم / محمد العودي

قاتل رغم أنفه

أمسك بمسدس لأول مرة في حياتي، أتحسس ملمسه المعدني و لونه الأسود القاتم الذي يجعله يستحق لقب رسول الموت بجدارة..

كان يجلس وراء المكتب (يسري الشناوي) ابن عمي، مرتديًا بذلة غالية الثمن و يبتسم في هدوء..

أعدت المسدس إلي المكتب و نظرت إليه في عينيه مباشرة سائلًا إياه في توتر: للمرة الألف أسألك يا (يسري).. هل فكرت جيدًا في ذلك الأمر الذي عزمت عليه؟

فأجاب في ضجر و قد اختفت ابتسامته:

- وللمرة المليون يا (توفيق) أقول لك.. نفذ ما طلبته منك..

فشعرت بالعرق يغمر جبهتي و أنا أعاود الإمساك بالمسدس، و عادت إلي ابن عمي ابتسامته، وقمت بتركيب كاتم الصوت، وأنا أتذكر ذلك اليوم الأسود الذي زارني فيه ابن عمي بالمصلحة الحكومية التي أعمل بها، ودعاني لتناول الغداء في قصره، كان يملك إرثًا كبيرًا من النقود والعقارات ورثها عن أبيه الذي أهدر حق أبي في ميراثه من جدي، ويوم توزيع التركة أبرز عقودًا مسجلة تثبت أن جدي باع إليه كل ممتلكاته، ولم يترك لأبي سوي شقة العائلة التي مازلت أقيم فيها حتي الآن..

بعد أن تناولت الغداء مع (يسري) قام بطرح فكرته المجنونة؛ أنه يريدني أن أقتله!

أنا أعلم أنه سمج و صاحب دعابات ثقيلة، و لكن الامر مختلف هذه المرة!

حسبته ساعتها مجنونًا و هممت بالانصراف، ولكنه أمسك بيدي واقتادني إلي حجرة المكتب، وأطلعني على العديد من صور الأشعة والفحوصات التي تثبت أنه مصاب بمرض السرطان و أن أيامه في الحياة صارت معدودة..

سألته ساعتها وأنا أرد له أوراقه و صور أشعته :

- و لماذا تريدني أن أقتلك؟ أنت بكل الأحوال ميت!

فأجابني بابتسامته الغير مبررة:

- أريد أن أنهي حياتي في الوقت الذي أريده، لقد عشت حرًا طوال عمري، أشرب ما أريد و آكل ما أريد، أنال أي شيء يخطر على بالي بإشارة فقط من إصبعي، ولا أريد أن أظل حتى يحتم علي الموت قضاءه!

فسألته في ملل:

- و لماذا اخترتني أنا بالذات لهذه المهمة؟

- لأنك تكرهني!

فحملقت فيه اندهاشًا من صراحته ثم قلت له في حرج:

- أنا لا أكرهك لشخصك، و لكن أنت تعلم جيدًا مسألة الميراث و..

فقاطعني بلهجة آمرة:

- توقف عن الكذب يا (توفيق)، ولا تنس أنك تتحدث مع رجل ميت، والكذب على الأموات خطيئة لا تُغتفر!

ثم استطرد واضعًا فمه في أذني كي يوسوس فيها:

- الموضوع سهل للغاية؛ سأعطي جميع الخدم أجازة مفتوحة بدءً من الغد، وسأبقى في القصر وحدي حتي يوم الجمعة القادم، وسأقوم بتجهيز مسدس كاتم للصوت تؤدي به مهمتك، أنا أعزب مثلك يا عزيزي فلا تخشَ شيئًا، وكل ما عليك عقب الخروج من القصر؛ أن تبلغ الشرطة بوفاتي من أي هاتف عمومي حتي لا تتعفن جثتي، و ستحصل نظير تلك الخدمة على خمسمائة ألف جنيه، وهذا شيك مني بالمبلغ!

******

(اضغط علي الزناد يا توفيق)..

هكذا جاءني صوته كي يخرجني من أفكاري، هذا الوغد يتعجل الموت بصورة غريبة والابتسامة لا تفارق شفتيه!

شعرت بقطرات العرق تنهال خلف أذني اليمنى، فرفعت السلاح و سددته ناحية قلبه، كانت يداي ترتعشان والمسدس يهتز في يميني، وألقيت عليه نظرة مشفقة..

هل هذا يعتبر موتًا رحيمًا؟

هل إذا انكشف أمري فسوف أُعَاقَب؟

و إذا نجوت من عقاب الدنيا، فكيف سأهرب من جزاء الآخرة!

و لكني سأنقذه من العذاب والألم، و كل شيء سيتم برضائه، إذن فلا توجد ضحية!

استجمعت شجاعتي، وأوقفت مؤقتًا أنين ضميري الذي حاول إثنائي عن هذه الفعلة، و ضغطت على الزناد لثلاث مرات متواصلة!

******

أبرزت الصحف في الأيام التالية نبأ اختفاء ابن عمي، وتم وصفها بالجريمة الغامضة، فقد اتصل أحد الأشخاص بالشرطة يخبرهم عن جريمة قتل بخصوص رجل الأعمال المعروف (يسري الشناوي)، و لكن الشرطة عند الوصول إلي قصره لم تجد له أثرًا..

اختفى!

ولكن كيف؟

لقد صرعته بثلاث رصاصات في قلبه، و شاهدته وهو ينزف والحياة تغيض من وجهه!

واستُدعيت إلى النيابة لسماع أقوالي بشأن تلك الحادثة، فلم أُزِد حرفًا عن أنه جاء لزيارتي منذ ما يقرب من أسبوع، وأنه قد شعر بدنو الأجل

فأعطاني شيكًا بمبلغ من المال، كتعويض لي عن إرث أبي الذي نهبه والده..

انتهت القضية.. وبقي الجميع في انتظار الغائب، وصرفت الأموال من البنك فاستقلت من العمل و ودعت حياة الضغوط و المديرين الظالمين، و شق عليّ فقط توديع أصدقائي الذين كانوا خير صحبة لي في الحياة و أنشأت مشروعًا خاصًا بي، وتزوجت أيضًا من فتاة جميلة ذات حسب ونسب..

وفي أحد الأيام رن جرس الباب ففتحته لأجد (يسري) واقفًا أمامي يبتسم!

سقطتُ مغشياً عليّ، وعندما أفاقني الجيران كان ذاب كالملح في الماء!

كنت أرى وجهه دائمًا، و جهه صاحب الابتسامة الواسعة والأسنان العاجية..

كنت أراه في وجوه الموظفين، كنت أراه في وجوه جيراني، في وجه زوجتي!

إنه حي، و لكن ماذا يريد مني؟

علمت أنه لا فائدة من المقاومة، فدخلت إلى مصحة نفسية خاصة يديرها طبيب نفسي شهير، بُحتُ له بكل شيء، وبعد نظرة غامضة منه سألني:

- سيد (توفيق) هل أنت واثق مما تقول؟

- بالطبع، أعلم أنه شيء عسير على العقل و لكن..

فقاطعني قائلاً:

- و لكن ابن عمك توفي غارقًا!

فاتسعت عيناي رعبًا و سألته:

- ماذا تقول؟

فأخرج لي من درج مكتبه صحيفة حملت تاريخ الأمس و تبرز خبر العثور علي جثة (يسري الشناوي) غارقة في النيل؟

فألقيت الصحيفة في غضب و صحت بأعلي صوتي:

- مستحيل!

فقام الطبيب بتهدئتي و قال لي:

- ابن عمك توفي غارقًا يا سيد (توفيق)، و كل القصة التي ذكرتها لي من المرجح أنك اختلقتها في خيالك، أو بالأصح في عقلك الباطن، من واقع سجلات عملك بالحكومة؛ يتضح أن لك تاريخًا قصيرًا مع مرض (الفصام)؛ وبشهادة زملائك؛ فإنك تختلق عالمًا وهميًا تعيش فيه، وتصنع أصدقاءً وهميين تبث لهم شكواك، وتأنس بهم، واذا حاول أحدهم تنبيهك إلي أنك تتحدث مع الهواء تتشاجر معه!

فهويت جالسًا على المقعد، و سألته ذاهلًا:

- وزوجتي؟ هل تعلم ذلك؟

فأجابني بابتسامة ساخرة:

- أنت أعزب يا عزيزي، ولا توجد لك زوجة!

- و لكنها أوصلتني إلى هنا بنفسها..

فهز رأسه في أسى قائلًا:

- أنت مريض للغاية، وفي حاجة ماسة للعلاج..

- والمال الذي تركه لي؟

- لا أريد أن أخبرك بحالة ملابسك التي جئت بها إلى هنا، حتي لا أؤذي مشاعرك، و عندما قمت بتسليمها لم يكن بها سوى مائتي جنيه لا غير!

وبقيت في المصحة دون أن أتيقن هل أنا مريض؟ أم قاتل؟

هل هي دعابة ثقيلة من (يسري) حتى في موته؟ أم كانت نهايته علي يدي؟

أين الحقيقي و أين المزيف؟

أين الوهم و أين الواقع؟

هل أنا قاتل أم مجنون؟

قاتل أم مجنون؟

بقلم / محمد حسين

انتقام من العالم الآخر

استيقظت في ليلة؛ كانت أشد ليالِ الشتاء برودة، لم أكن متعلقًا بالغطاء فقط، بل أشعر أن الغطاء قد أصبح قطعة مني، إنه لايفارق جسدي النحيل، وكأن هناك يد خفية قد امتدت إلى غطائي لترفعه عني، نعم أشعر بتلك البرودة تسري فى عروقي.. أنفاسي تتقطع، وأناملي تتيبس، وبالكاد أستطيع أن ألتقط وألملم شتاتي، هناك شيئٌ يدور حولي ولكن بالطبع لا أجرؤ على أن أرفع غطائي عني لأكتشف مايحدث.. فضلت التجاهل، إنه أسلوبٌ قد ينجح في بعض الأحيان، ولكن حظي العاثر لم يساعدني هذه المرة، وفجأة امتدت تلك البرودة إلى قدمي.. نعم إنها تقبض عليهما الآن، وأنا بالطبع قد توقف عقلي عن العمل في تلك اللحظة، إنها ترتفع من تحت الغطاء وتقترب نحوي.. جحظت عيناي من هول مارأيت.. نعم إنه وجه أسود عتيم، وعينان تتوهجان في ظلام الليل هل مايحدث حقيقة؟ أم أنه مجرد كابوس ودرب من دروب الأحلام ومتاهات العقل؟ أم أنني أُكَذِّبُ عينيَّ، ومايقف أمامي الآن هو جنيٌّ، وسأقضي ليلتي معه، ولن يكون هناك سوانا! لا أعلم مايريده، ولكن ما أعلمه جيدًا؛ أنني لن أقضي أفضل أوقاتي..

أغمضتُ عينيَّ وتمنيت أن تمضي تلك الليلة، لايهمنى ماحدث، فقط أريد أن أرى ضوء الشمس، وبالفعل جاء الصباح لا أعلم كيف؟ ولا أين ذهب ذلك الكائن!

الذي يهمني الآن أن أخرج من هنا، وعلى غير العادة تناولت ملابسي، أرتديها وأنا أخطو إلى الخارج، ليس في عقلي شيئ سوى ماحدث بالأمس، تُرى هل هو حقيقة.. أم مجرد أوهام وخيالات من صنع عقلي، وانطلقت مسرع الخطوات إلى عملي، ولم أكن في التركيز الذي يسمح لي بأداء أيًا من مهام عملي؛ فحالة الشرود التي لاحظها الجميع واضحة علي.

انتهى الدوام، وكنت في حاله من الصعب معها العودة إلى شقتي، خاصةً وأنا أسكن وحيدًا، وكان الاختيار الأمثل وقتها؛ هو الذهاب إلى منزل أختي، وعلى ذلك توجهت إليها، كنت في احتياج شديد إلى النوم والراحة، وفي المساء كانت ملامح أختى تظهر عليها الحيرة، وعلى وجهها ترتسم علامات استفهام كثيرة، وجلسنا نتناول العشاء أنا وأختى وابنتاها؛ لأن زوجها متوفي، وبعد الانتهاء من العشاء؛ جلسنا أنا وأختى في غرفة الجلوس، في حين أن ابنتيها ذهبتا إلى غرفتهما للنوم، ولم أجد مفر من أن أقص على أختي ماحدث لي بالأمس، وكانت حدقتي عينيها تتسعان من هول ما أرويه، وباتت تشعر بالقلق وقالت لي أن وجودي معهم حاليًا بات ضروريًا؛ لحين فهم ماحدث ومعرفة تفسير له. وانتزعتنا من ثباتنا صرخه مكتومة صادرة من غرفة البنات، انطلقنا على أثرها إلى الغرفة، فوجدنا إحدى البنات تجلس في زاوية الغرفة وترتعش، وعيناها متسعتان وصراخها متواصل، حاولنا تهدئتها لمعرفة ماحدث دون جدوى، فاتصلت أختي بأحد الأطباء، حضر الطبيب بالفعل وأعطاها حقنة مهدئة، نامت بعدها، وكانت أختها لاتعلم عن ماحدث لها شيئ، وقالت أنها استيقظت من نومها على صرخات أختها، ولا تعرف سببًا لذلك.

أصبح ماحدث وسبب الهلع؛ سره معها، وهي الآن تغط في سبات عميق، انشغلت بما حدث لابنة أختي، ونسيت ماحدث لي قبلها، وفي الصباح كنا لانزال مستيقظين في انتظار أن تستفيق ابنة أختي، وما أن استفاقت حتى انطلقت أختى توجه لها الأسئلة، السؤال تلو الآخر، والبنت لاتجد سبيلًا للرد عليها، قلتُ لها دعينا نُهَدىء من روعها أولًا، ثم بعدها سنعرف ما حدث.

لم يكن ذلك بالشيئ السهل على طفلة في العاشرة من عمرها، وما أن هدأت؛ حتى بدأت تقص علينا ماحدث لها: "كنت أستعد للذهاب للنوم، عندها وجدت أن الغطاء يتم سحبه من فوقي، اعتقدت في بادئ الأمر أنها أختي، وكنت سأوبخها على ماتفعل، إلا أننى صُعِقتُ عندما رأيتها نائمة على سريرها بجواري، لم أحتمل ذلك، فصرخت بأعلى صوت حتى أتيتم، ولم أرَ شيئًا غير ذلك".. قالتها وأنفاسها تتقطع كما لو أنها تصعد إلى مكان مرتفع، لم يكن أمامنا أنا ووالدتها سوى طمأنتها حتى تستطيع الفتاة النوم ونسيان ماحدث، وبالفعل كانت كلماتنا هي طوق النجاة لها لتحدث نفسها بأن ماحدث لها كان مجرد حلم مزعج.

مرت علينا الساعات حتى أتى الليل، لانعلم كيف، ولكن كان عقلي يفكر ولايجد تفسيرًا وأختى شاردة، وأعلم سبب ذلك.

ولكن مهلًا.. هل مايحدث بسبب تلك الواقعة! نعم.. إنهم جاءوا للانتقام، كنت أعلم أن ذلك سيحدث آجلًا أم عاجلًا، بطريقة ما، إنها تلك الليلة التي كنت أقود سيارتي على ذلك الطريق الذي حذرني منه صديقى، وكانت ليلة صعبة بكل المقاييس، وكنت لاأعتقد في أشياء من هذا القبيل، عندما فاجأني شخصٌ أو شيئٌ ما واقفًا في منتصف الطريق، لم

أستطع حينها أن أوقف السيارة في الوقت المناسب، فاصطدمت به بشدة، ولم يكن أمامي سوى النزول من السيارة للاطمئنان عليه، ولكني صُعقت عندما بحثت فلم أجد أحدًا! شيئٌ لايصدقه عقل! فمن تعرض لصدمة مثل هذه؛ ليس من السهل عليه التحرك بهذه السرعة، ارتعبت إلى حد كبير مما حدث وغادرت المكان مسرعًا، وعندما قصصت ماحدث على صديقٍ لي؛ انزعج بشدة وحذرني من أن ماحدث ليس بالأمر الهين الذي من الممكن تداركه، وقال لي جمله لايمكن نسيانها " إنهم لن يتركوك".

تذكر عقلي ماحدث كما لو أنه حدث بالأمس، رغم مرور مدة ليست بالقليلة عليه، وبينما كنا نجلس أنا وأختى بغرفة الجلوس والفتاتان كانتا قد ذهبتا للنوم، وفجأة انتزعنا من سباتنا صرخات تأتي من غرفة الفتاتين! لكن هذه المرة ليست كسابقتها، انطلقنا نعدو إلى غرفة الفتيات، لكن مارأيناه كان يتعدى حدود العقل والتفكير، نعم.. إنه ذلك الكائن الذي قضيت معه تلك الليلة، لكن الآن لم يكن معي وحدي ولكن يحاول جذب ابنة أختي ونحن نقف متجمدين الأطراف من هول مانرى، ولكن أختى كأي أم لن تقف تشاهد ابنتها تُختَطَف دون أن تُحرك ساكنًا، حتى ولو من قبل كائن لا نعلم كينونته، انطلقت ممسكة بابنتها؛ محاولةً أن تخلصها من قبضته، وأنا رغم عدم قدرتي الواضحة على الحركة؛ إلا أني حاولت أن أساعدها، واستمرينا في جذبها نحونا.. وبالفعل نجحنا في تحريرها منه، وأخذتها أختي بين ذراعيها وأنا واقفٌ؛ ترتسم على وجهي علامة النصر، ولكن كان لذلك الكائن رأيٌ آخر.. فقد انقضت قبضته على قدمي تعتصرها، محاولًا جذبي إلى أسفل، وهو يضحك بشكل مفزع، ولكن الغريب في الأمر أنني لم أكن أقاوم! بل كنت

مستسلمًا تمامًا فأنا أعلم سبب ذلك، ولن أدع أحدًا آخر يدفع ثمن خطئي، كنت أنتظر وأعلم أن شيئًا ما سيحدث، وهاهو يتحقق الآن.

إنه يأخذني بالتأكيد إلى خارج عالمي، نعم.. فقد حان موعد محاكمتي في عالمٍ آخر.

تمت

بقلم / شحاته سعد احمد

قناع الموت

تَهَلَّلت أسارير (شادن)، وهي تتمايل بخصرها المياس في ثَّوْبِ العُرسِ الأبيض، برقصة رومانسية حالمة مع عريسها (رامز)، على لحن كلاسيكي هادئ، وفي أعقابها عزفت الفرقة الموسيقية لحن الزفاف، لتتأبَّط ذراع زوجها الوسيم بحلته التوكسيدو ذي البابيون الأنيقة، قاطعين الممر الطويل لقاعة الأفراح في زفة منقطعة النظير، حتى استقلا سيارة مزدانة تَحُفُّهُما سعادة الدنيا..

وبمضي سُوَيْعة.. كشرت الطبيعة عن أنيابها، فتلبدت السماء بغيوم رمادية كثيفة أضفت على الْجَوِّ البديع طابع الكأبة، وسطع البرق في قلب السَّحاب تلاه هزيم الرعد، وسرعان ما هطلت الأمطار بغزارة، لتدفع الغالبية العظمى من الناس للبقاء في بيوتهم، وكادت الشوارع تخلو تقريبًا من حركة السيارات والمارة تحت السيول المنهمرة..

ولم يُبالي بموجة الطقس السيىء شخصٌ طويل القامة، متين البنيان، يرتدي معطفًا قصيرًا من النايلون المقاوم للماء، وبنطالًا جينز أسود داكن، عبر الطريق واتجه مباشرة صوب عوامة نيلية، تسلل إلى داخلها بخفة الفهد, ثم تَقَفَّزَ بقفازين جلديين سوداوين، وثبت فوق وجهه قناع مطاطي مخيف، لسفاح مجزرة منشار تكساس، الأشهر في تاريخ أمريكا(إد جين)، ثم استل من جراب معلق بساقه خنجرًا مفلطحًا ماضيًا، وانتقى من أثاث العوامة مكانًا، توارى خلفه يَسْترق السمْع، ويُمعن النظر، ويترقب بهدوء وثقة..

لم يَدُم مكوثه طويلًا، حتى استنفرت حواسه "تكة" معدنية مصاحبة لتحرك مزلاج الباب، وبحذرٍ شديدٍ اشْرَأَبَّ بعنقه، ليرمق العروسان، وهما يدلفان للعوامة، وبعد بُرْهةٍ قَصيرةٍ ظهرت (شادن)، فحملق المقنع بنظرة شهوانية في تضاريس قوامها المثير الصارخ بأنوثة طاغية، والمغلف بقميص نوم وردي قصير يبرز مفاتنها، دخلت الحمام، وفتحت صنبور البانيو، ثم راحت تطالع صورة وجهها المليح المنعكس في المرآة، وتتحسس بشرة وجنتيها الناعمتين، وهى تُسبل جفنيها في نشوة، فتحت عينيها ببطء لتتلاشى ابتسامتها، وتحل محلها نظرة هلع، حينما بدت لها صورة المقنع المتشح بالسواد، واضحة بجلاء على سطح المرآة، يقف وراءها مباشرة!.

ألجمت المفاجأة لسانها، فاختنقت الكلمات في حلقها، لذا لم تستطع أن تنبس ببنت شفة، وارْتَعدَ جلدها، وهي تستدير ببطء، وترفع رأسها لتواجهه، كان شاهرًا خنجره ذا النصل الحاد أمام وجهها في صرامة مخيفة، واضعًا إصبعه على فَمه، في إشارة تهديد ووعيد جلية بأن تلتزم الصمت، تيبست عضلاتها، وشعرت أن ساقيها قد عجزتا عن حملها، فسقطت أرضًا، ليتمكن المقنع بواسطة شريط لاصق من إحكام وَثَاقَ معصميها، وتكميم فمها..

تجمدت عيناها في محجريهما، وشعرت بالعرق البارد يتصبب منها، وهو يرفع خنجره ويمرر نصله على خديها بهدوء مثير، وفجأة راح في وحشية يمزق وجهها بضربات خاطفة متلاحقة بطرف النصل المشرشر، فتفجرت دِمَاؤُهَا القرمزية الدافئة، لتغرق قسمات ملامحها المطموسة، فأخذت تهز رأسها، وهي تتلوى ألمًا وعذابًا، وتصدر من خلف الكمامة همهمات هيستيرية مكتومة..

تحت وطأة لوعتها التي جعلتها كالثكلى، انفكت عقدة جسدها، فاعتدلت بصعوبة وتراجعت بحركة حادة، وكل خلجة في جسدها تنتفض بالخوف، فبادلها غريمها بابتسامة مقيتة، سرعان ما اتسعت لتصبح قَهْقَهة شامتة، وهو يهجم عليها محاولًا طعنها، بغريزة البقاء تنحت جانبًا، فأطلق المقنع زمجرة غاضبة، وخنجرة ينغرس في مرآة الحمام، فهشمها ليهوي حطامها ويرتطم بالأرضية في رنين مزعج، تردد صداه طويلًا..

اندفعت نحو باب الحمام، فانزلقت قدماها على السيراميك الأملس، وسقطت لتنغرز شظايا الزجاج الحادة بأرجاء جسمها، حاولت التشبث بحافة البانيو المستدير لتعتدل، ولكن جسدها المدجج بالآلام خذلها، فاغرورقت عيناها بدموع اليأس المريرة..

اندفع نحوها رافعًا خنجره لأعلى، فكاد قلبها من فرط فزّعها أن ينخلع من بين ضلوعها، مع سريان قشعريرة هائلة في جلدها، وخصمها يهوي بالنصل الحاد على بطنها، فرفعت كفَّيْها في محاولة جادة للذود عن حياتها، لتشعر بآلام حادة تنتشر في ذراعيها، فأجهشت ببكاءٍ حار، امتزج بنحيبها المذعور، وأصدر جسدها تشنجات عصبية، فخرج من حلقها حشرجة عجيبة، وسيطر الرعب على كيانها كله، لذا لم تقاوم هذه المرة، فسلمت واستسلمت لمصيرها المحتوم..

ضاقت حدقتاه، ليَبدُو علي وجهه آثار الاستمتاع بانهيارها، فحدجها بنظرة قاتل سادي يتلذذ بتعذيب ضحاياه، وبرقت عيناه في جنونٍ حاز وحشية الدنيا، وببرودٍ عجيب، أخذ نصل خنجره يغوص في صدرها الأيسر، فشقه كما لو أنه جراحٌ بريطاني يقوم بعملية قلب مفتوح بدون

عقاقير مخدرة، لتجحظ عيناها في ألم ورعبٍ هائلين، مع بروز قلبها المَخبوء من تجويف صدرها، وهو ينبض بضربات سريعة متلاحقة، وبمعدلات فائقة غير مسبوقة، وبلا اكْتِراث مد يده عبر فرجة صدرها، وانتزع قلبها انتزاعًا من بين ضلوعها، أخذًا بالأوردة والشرايين المتصلة به، فتمزقت ونزفت دماؤها بشكل بشع، لينتفض جسدها انتفاضة الموت!

وبعيونٍ زائغة من خلف غشاوة ضبابية، تَرَاءى لها بلمحة خاطفة وجه جلادها، بعد أن نزع قناعه، فعرفته قبل أن تصعد روحها إلى بارئها، وتفارق جثتها التي اندفعت منها الدماء، لتصنع حولها بحيرة حمراء قانية، فحملق القاتل بنظرة ماجنة متشفية في قلبها القابع بين كفيه والدم يتقطر منه بغزارة، فقضم جزءً منه بأسنانه ولاَكَهُ بفمه، قبل بصقه في ازْدراء..

في هذه الأثناء كان (رامز) يستمع لأهزوجة صاخبة، وهو يحتسي الخمر، وبدأ القلق يتسلل إلى كوامن نفسه، فقام من مجلسه وهو يترنح من فرط سكره، جال ببصره في أديم العوامة الفسيحة بحثًا عن زوجته، هرع نحو الحمام ليرتد إلى الخلف مصعوقًا، وتبخر أثر الخمر من رأسه، وهو يطالع جثتها المسجاة المشوهة، والمغمورة بالدماء على نحو مريع.

وفجأة انقطعت الكهرباء، فاندهش وهو يطالع الأضواء الواضحة في العوامات المجاورة، وسطع البرق، واجْتَازَ وميضه النافذة، لينعكس على تمثالٍ ثقيل ارتفع عاليًا، وهوى بضربة فنية على مؤخرة رأسه،

جعلت جسمه يدور حول نفسه قبل أن يسقط أرضًا، ويذهب في غياهب غَيبوبة عميقة..

ولم يدرِ كم ظل فاقدًا للوعي، ولكن عندما أفاق شعر بصداع رهيب يكتنف رأسه، ووجد يداه وقدماه مشدودتان في إحكام إلى قضيب سكة حديد بحبال غليظة مَضْفورة، وعلى قيد خطوة منه يقف الشبح يوليه ظهره، كانت ليلة من ليالي محاق القمر قد أرخى فيها الظلام والبرد القارس سدولهما، وساد الهدوء جميع الأنحاء، وبدأت الأمطار تخف تدريجيًا، فأخذ (رامز)يتبين موقعه الجديد ليجدها منطقة مقفرة موحشة، فهتف بغضب عارم:

- من تكون أيها الوحش المَسْعُورٌ؟!

التفت المقنع ببطء، فشحب وجه (رامز) حتى حاكى وجوه الموتى، وفغر فاهُ قبل أن يهتف في حنق:

- (أدهم) أخي!.. أَأَنتَ خلف كل هذه الكوارث؟!

التمعت عينا(أدهم)، حتى بدا حرفيًا كالمُعتل، وهو يصرخ ساخطًا:

- أجَلْ أنا.. وسأقتلك لأرثك بعد استحواذك على تركة أبانا.

ازدرد لعابه، ثم أردف كالثور الهائج:

- الأدهى أنك من بين كل نساء الأرض تزوجت حبيبتي(شادن).

أخذ (رامز) يصارع قيوده، وهو يبتلع قطرة ريق فرت هاربة إلى صعيد حلقه الجاف، وأراد أن يصرخ ولكن صوته خذله فخرج متحشرجًا، وهو يتمتم في استعطاف:

- ولكن الْقَاتِلُ لا يَرِثُ المقتول!

قاطعه أخوه وهو يهوى على وجهه بصفعة هادرة، جلجل صداها في الليل البهيم كألف صفعة، وجثا على ركبتيه, حتى كادت أنفاسه الحارة تلفح وجهه، وصرخ بغِّل:

- يا لك من وغد..

بدد سكون الليل صافرة مدوية لقطارٍ قادم، فالتهبت أعصاب (رامز) وهو يحاول أن يحل وثاقه، ولكن هيهات.. فأخوه قيده بإحكام مطلق، ألجمه العرق إلجامًا، فصرخ بكل ما يموج به صدره من انفعالات ذُعر جارفة، وهو على شفا الانهيار التام:

- الرحمة يا أخي.. أرجوك حل وثاقي.. وأعاهدك بأنني سأعوضك عن كل لحظة شقاء عانيت فيها.

جاوبته تصفيقات (أدهم)، وهو يثِب في الهواء كطفل مبتهج بلعبة جديدة وضاقت حدقتاه، وهو يغمغم في صرامة ماجنة:

- سبق السيفُ العَذَلَ، وأوشك القطار السريع أن يفرمك أسفل عجلاته بلا هَوادة.

قالها ثم راح يهذي مثل الأَبْلَه، والزبد يسيل من بين شِدْقُه على ذقنه في منظر مقزز، ليَبدُو وكأنه وحش كاسر لم تعد في أعماقه مكان لبذرة شفقة أو ذرة رحمة، والقطار يدنو مزلزلًا الأرض من تحته، وصفيره يسبقه بضوضاء هادرة كادت شدتها تصمّ الآذان، وأخذ (رامز) يتضرع لأخيه، ولكن دون جدوى، وعندما أصبح القطار على مرمى البصر، اتسعت عيناه عن آخرهما واحتقن وجهه ليتدفق الأدرينالين بقوة في عروقه، وتنقبض عضلاته ثم تنبسط، ليجد معصمه قد تحرر، وبلا تردد قبض على ساق (أدهم) ككلابة من فولاذ، وهو يصرخ بملء فَاهُ بسخط ثائر:

- إذا لم يكن من الموت بُدٌّ، فلنمت سويًا أيها البائس.

أطلق(أدهم) صرخة رعب هائلة، وهو يحاول بكل ما أوتي من عزيمة تخليص قدمه، ولكن القطار المندفع بسرعته القصوى لم يمهله للفرار من القضاء النافد، فمزقهما إرْبًا وسحق عظامهما سحقًا، لتتطاير أشلاء اللحم المفري، في مشهد فظيع، يعجز القلم عن وصف مدى بشاعته!.

******

ولج خبير المعمل الجنائي إلى مكتب مفتش مباحث العاصمة، وهو يحمل في يده ظرف أبيض، فاستقبله المفتش واختطف منه الظرف، وفضه بلا رَويّة، وهو يتمتم في تفاؤل مفعم بالحذر:

ــ أتعشم أن يأتي تقرير الطب الشرعي بما يمحو غموض الحادثة البشعة التي أودت بحياة الملياردير(رامز رسلان).

أومأ له الخبير برأسه إيجابًا، وهو يتفرس في انطباعات وجهه حيال ما يقرأه، فبهت عندما ارتد المفتش برأسه للخلف مصعوقًا، وهو يغمغم في دهشة:

- مستحيل!..فالتقرير يفيد بكون الجثتين لـ (رامز) و(أدهم رسلان) ولكن تحليل الحمض النووي يؤكد بأنهما ليسوا إخوة!.

طرق جندي الحراسة الباب فأَجازَ له المفتش بالدخول، فدلف ثم أدى التحية العسكرية، وهو يقول بلهجة آلية:

- حرم المرحوم (رسلان السيوفي) تريد مقابلتك يا افندم.

أشار له المفتش بلهفة قائلًا:

- دعها تتفضل فورًا.

انصرف الخبير وفي إثره الجندي لتنفيذ الأَمْر، وما هي إلا ثوانٍ حتى دلفت سيدة مسنة، احمرت عيناها من الدموع التي ذرفتها، فأشار إليها المفتش بالجلوس، وهو يقول بلهجة مهذبة:

- مرحبًا بكِ يا سيدتي.. كلى آذان مُصْغِية.

جلست، ثم قالت بأسى من قلب حزنها الدفين:

- أهلًا وسهلًا.. لقد جئت لكي أبوح بسر ناءَ به كتفاي، وآن الأوان لأعلنه بعد فاجعتي بفراق الزوج والولد.

ازدردت لعابها في صعوبة لتشعر بغصة مريرة في حلقها، وهى تضيف بصوت مُتهدِّج:

- منذ عدة سنوات، ابتلاني الله بورم خبيث في الرحم فاستأصله الأطباء، لأصبح امرأه عقيم.. ولأن زوجي الراحل كان يشتهى الأولاد، حتى يمنع أشقاءه من ميراثه.. تفتق ذهنه على حيلة خبيثة.. فتمكن بسحر أمواله من الحصول على طفلين نسبهم لنفسه من حضانة مشفى خاص.

تضرج وجه المفتش بعلامات الذهول السافِر، ثم سرعان ما مط شفتيه وندت من فاه ابتسامة هزلية، وهو يتمتم بتهكّم لاذع:

- حقاً تقدرون وتضحك الأقدار!.

قال عبارته ثم ران على جنبات الحجرة صمت مهيب، لم يبدده سوى صوت صافرة قطار قادم من بعيد.

تمت

بقلم / راضي عبد المقصود السيد

نبضٌ آخر

محتجًا، اقتحم رجلٌ ستّيني الدّكان دون تحية أو استئذان:

- لا تقل لي إنك لم تصلحها بعد! يبدو أنك لم تتعلم شيئا من المرحوم
- لم يُجب أيوب وحافظ على هدوئه متبعًا المثل الفرنسي "الزبون مَلك"؛ فتح خزانةً جانبية صغيرة يُخصصها للساعات التي عاد إليهانبضها، بعد إهمالٍ من صاحبها، أو تقدّمها في السن وإصابتهابالخرف، وهي حالة هذه الساعة، التي تتذكر معركةَ ذات الصواريبين

المسلمين والبيزنطيين..

"تمتم أيوب، قبل أن يمدها بعناية إلى الرجل الغاضب.

أيوب، ستتخيلونه من دون شك رجلًا فعل به المشيب ما فعل، متشبّثٌ

بحرفته، يمكث في دكّانه منتظرًا بلا كلل إطلالة زبونٍ ما، لكنه ساعاتي شاب في الرابع والعشرين من عمره، مُجاز في التاريخ، ورث الّدكان ومعه شغف إصلاح عقارب الزمن، عن والده.

تبدلت ملامح وجه الرجل الثائر بعد أن اشتعلت غضبًا، مسح على لحيته ثم عدل رزّته على رأسه، وأخذ يتفحص الساعة ويخبطها

بأصابع يده علّ نبضها ينقطع، لينهال على الولد بعبارات الانتقاد مجددًا حتى تثبت إهانته، لكن دون جدوى.

كان أيوب قد أرشى أخاه الأصغر بخمسة دراهم لكي يفسح له المجال

ويذهب إلى محل الألعاب الإلكترونية المجاور، حيث يقتل الأطفال والمراهقون الوقتَ قبل أن يقتلهم، وانتظر انصراف زبونه

ليغلق الدّكان على عجل، وينطلق كَسَهْمٍ هائج غادر قوسه، صوب الكورنيش، حيث الموعد التاريخي والاستثنائي.

****

كان متيقنًا أن رذاذ البحر لا يداعب ملامحَ أيٍّ كان، وأن الأمواج لا

تبوح بأنينها لمن هبّ ودبّ، فقد منحَته ثقتها بعد أن أَلِفَتْ زياراته من حين لآخر كلما ملّ من صخب عقارب الساعات الكثيرة المحيطة ، ولومِ الزبائن رغم قلتهم، لكنه لم يكن متأكدًا من قدوم سارة في الموعد المحدد افتراضيًا، الخامسة مساء.

تأخرها واقتراب موعد تسليم النهار المشعل لليل، ونزوح أيوب إلى إحد ى المقاهي المقابلة للأمواج بعدما كان يعتلي صخرة وحيدة منسية في الشاطئ، كل هذه الأمور لم تمنعه من تأمل تلك الإقامات

السكنية الراقية المتراصة، حيث لا مجال لدكّان واحد لإصلاح الساعات كما هو الحال في حيّه الشعبي؛ درب المساكين، أما هنا، فتقف

العمـــارات علـــى مقـــاهي خمـــس نجـــوم و صـــالونات خاصـــة بتجميل وتزيين السيدات (خمس نجوم)، ولا شيء غير ذلك!

أخرج سيجارة رخيصة من جيبه، وضعها بين سبابته وإبهامه برقي

وبرجوازيـة كـأن بيـده (سـيجار)، أشـعلها ثـم نفـث زفيـرًا طـويلًا مصوبًا عينيه الصغيرتين نحو كوب القهوة أمامه، لا شك أنه ليس

بأربعة دراهم كما هو الحال في مقهى الدرب، و سيكون الأمركارثيًا إذا طلبت سارة من النادل إحضار عصيرٍ ما كما تفعل الفتيات في اللقاء

الأول، كمـــا فـــي الأفـــلام العربيـــة، لكـــن مـــن المـــرجح حســـب تقييمه الإلكتروني الأولي، أن تكون (بنت لبلاد)، وتطلب شيئًا ما

سيكون أهون في جميع الأحوال من كوكتيل فواكه قد يَرشف فيرمشه

عين ما جناه في يوم كامل من زبون مزعج ومُهين.

******

همس لها وكأنها تتقاسم معه مساحة السرير:

- أحبك

ردّت بدهاء مسبوق بضحكة استفزّته:

- كيف تُحبُّني ولم نلتقِ سوى مرة واحدة؟!

كانت لقاءاتهما "أون لاين" كتابية فقط.

ردّ بعفوية قريبة إلى الانفعال:

- الحب ليس بالزمن، ولا بقرب المسافات، أنا شخصيًا أُؤمن بهذا الأمر.

فراغ.. ثم رنّة متطفلة تُنذر باقتراب نعي رصيده من المكالمات، أراد أن يستغل اللحظات المتبقية على النحو الصائب، فأخذت تتطاير الكلمات

من فمه وكأنها المرة الأخيرة التي سيحادث فيها محبوبته:

- انبهَرْتُ اليوم بجمالك الذي يتفوق على صورك "الفيسبوكية"، ابتسامتك البريئة والمذيبة لقلب كل ناظر، أصابع يديك المنحوتة،شعرك ال.. انقطع الخط، وانتهى الرصيد، أنزل الهاتف من أذنه ببطء شديد، من هول الصدمة، من أين سيزود جوّاله برصيد جديدفي هذا الليل الصامت؟ وهذه المدينة النائمة؟

استسلم للأمر ووضع الهاتف جانبا، منقضًا على حاسوبه، حيث صور سارة التي يحتفظ بها في ملفٍ أسماه "السّاعة في الحضارة البابلية"، لكي لا يثير فضول أخيه الأصغر فيفتحه ليتجسس على جميلته كلما غادر إلى الدّكان.

تمت

بقلم / أحمد شوقي

وصايا العجوز

عند التاسعة مساءً، في تلك المحطة المكتظة بالمسافرين، تجلس منفردة على مقعد خشبي، ملتحفة شالها الصوفي متحسسة بين الحين والآخر قبعتها السوداء الفاخرة التي صارت مبللة كليةً بفعل الأمطار الغزيرة التي لم تنفك عن الهطول طيلة الظهيرة، ترتجف من شدة البرد وكأن أوردتها تصلبت، تحاول تدفئة يديها بما تزخر به أنفاسها من حرارة، على وجهها الممتلئ ينتشر النمش بعشوائية مفصحًا عن بوادر الجمال الممتزج بعنفوان الشباب، عيناها الخضراوان الواسعتان تحتضنان عزائم الدنيا ونهرًا جارفًا من الثقة اللامتناهية بالنفس، أما خلف جبينها الضيق، فيتخفَّى عقلٌ ثريٌ وأنيق، يعلوه شعرٌ ثعلبي اللون مجدول بعناية..

فجأة يهتز المكان بصوت صافرة القطار، فتتسع حدقتاها وتتزاحم أنفاسها راسمة على مطلعها ابتسامة عريضة، إنها على أهبة الاستعداد لتغادر هذا المكان اللعين، لوهلة صارت جلَّ أمالها معلقة بتلك الصافرة وبذاك القطار الذي طالما طاردته، محاولةً اللحاق به كأكبر حُلم قد تحققه في حياتها، فهذا القطار ليس كغيره مطلقًا، إنه المركبة السحرية التي ستنتشلها بعيدًا جدًا عن مآسي ماضيها وتجاربها المتعفنة، هي بحاجة للرحلة الطويلة التي ستخوضها على متنه، لتصفي ذهنها وتمنح حياتها بداية جديدة، إنه تأشيرتها للحياة التي طالما تمنت أن تعيشها،

فقامت مسرعة باتجاهه كطفلة تترقب والدها المحمل بالهدايا، وكأنها تقول له "لن أضيعك هذه المرة".

اختارت لنفسها مقصورة، وسارعت بنزع شالها وقبعتها كي لا تصاب بالبرد، ثم لزمت سريرها بعد أن فكت جدائلها، لقد كان إرهاقها يضاهي شغفها بالرحيل، وربما يفوقه بكثير، فلم يكن متوجبًا على النوم أن يداعب جفونها مطولا كي تستسلم له وربما ما تواطأ مع الإرهاق كانت هدهدات القطار المتناوبة التي استلمت روحها وراحت تخلصها من كل متاعبها ومحنها، يكفي أن تسترخي وتتوقف عن التفكير بانغماسها في الأمواج التي يعتليها القطار بين الثانية وأختها كي تكون طريدة سهلة للنوم.

كانت قد بلغت ذروة الأحلام عندما أيقظتها صافرة القطار وتوقفه المفاجئ، أخذت تفرك عينيها ثم تشرئب برأسها كي تتفقد أغراضها، لقد كان كل شيءٍ في محله، لكن لماذا توقف القطار في هذا الجسر المرتفع وهو لا يحوي أي محطة؟ تراه عطل تقني؟ كان كل شيء راكدًا كجثة غادرتها الروح ماعدا الصافرة، قررت أن تلقي نظرة خارج مقصورتها لعلها تلتمس تبريرًا من أحد المسافرين أو أحد العمال المتجولين، تفتح البوابة، تراقب المكان لكن ما من مارٍ، وما من مسافرٍ يبدو عليه الاستغراب من الحادثة، فجميعهم ملازمون لمقصوراتهم التي تنبعث منها قهقهات متعالية وكأن ما يحدث لا يعنيهم البتة، تتقدم بخطوات إلى اليسار عازمة الاستفسار من المسافرين في المقصورة المجاورة، تأخذ نفسًا عميقًا، وما كادت يدها تلامس البوابة حتى انطلق القطار من جديد مكملًا رحلته الطويلة، تزفر بارتياح متحسسة نبضها الذي أخذ يستعيد وتيرته الاعتيادية، ثم تَهُم راجعة إلى مقصورتها، توصد بوابتها، ثم

تستلقي لترتمي بين أحضان النوم من جديد، ولكن قبل أن تغادر الواقع أحست يدًا تمسح برفق على رأسها فتنتفض فزعة، فإذا بها عجوز زنجية محدبة تتوكأ على عصًا صفراء، شعثاء، تلبس عباءة صوفية وقبعة تنسيق سوداء، تتأملها بعيون تفيض إعجابًا وثناءً، تعتدل الفتاة في جلستها ثم تسألها والخوف يتحاشر في حلقها:

- من أنت؟ وماذا تريدين مني؟

تجيبها العجوز بعد تأمل مطول مقرون بابتسامة داهية:

- أتعلمين يا ابنتي؟ هذا العالم مليء بالشر والنفوس المريضة، الكل ينهش الكل وكأننا في غابة، ولا مكان للضعفاء أو الحالمين فيه..

تقاطعها:

- لكن.. عذرًا! هل أنت بخير؟ كيف تقتحمين مقصورتي بهذه الطريقة؟

- الناس سيئون للغاية يا ابنتي، قد يرافقونك سنينًا؛ فقط ليظفروا برغائبهم، فلا تثقي بأحد، لأن الأقنعة تسقط في النهاية فقط، لا تقدمي كل ما لديك، وخبئي طيبتك جيدًا، فالطيب ساذج في هذا العالم الوضيع، وأحلامك.. أحلامك.. فلا تفصحي عنها لأحد، لأنها تعنيكِ وحدك، وأحزانك لا تشاركيها مع أي شخص فما من أحد يكترث لمصابك، أو يعنى بمساعدتك..

تتأملها الفتاة في صمت وهي مسترسلة:

- كافحي من أجل كل حلمٍ تمنيت تحقيقه، ابحثي عن مراكز قوتك بداخلك ولا تلتمسي الدعم من أحد، بوسعك تحقيق كل المشاريع التي تحلمين بها؛ شرط أن تمتلكي عزيمة تناطح السحاب، قلبي عن المعنى الحقيقي لوجودك في هذا الكون واصنعي لنفسك شعارًا متمردًا، وتذكري يا ابنتي أن الله معك في كل خطوة تخطينها، وأنه يثق بك ويميزك عن ملايين البشر على هذه الأرض، فابحثي بعمق عن تلك الميزة ولا تكوني كالآخرين الذين يعيشون على بقايا الأوهام، غيري ما يمكنك تغييره، فإن لم يكن بمقدورك ذلك فتأكدي من أنكِ في المكان الأنسب لك وأنه قد حان الوقت لتتقبلي واقعك بحبٍ وامتنان، وتغيري عاداتك ومعتقداتك بشأنه..

تقاطعها الفتاة:

- ولكنني خائفة! ألم تقولي لتَوِك بأن العالم مليء بالشرور؟ أتظُنين حقًا أن هذه النفوس المريضة ستسمح لي ببلوغ مآربي؟

- بلى، ولكنني قلت أيضا بأن الله معك، فأي مصدر آخر قد يمُدك بالقوة والشجاعة غيره؟ واجهي مخاوفك؛ لأن الخوف في كثيرٍ من الأحيان؛ ما هو إلا عبارة عن عقبات تضعينها -باسم الوهم- في طريقك وهي في الحقيقة غير موجودة، أما آلامك وخيباتك وكل شظايا ماضيكِ فيمكنك استغلالها لصالحك، لأن النجاح المبهر عادة ما يكون حصيلة للضربات الموجعة، يمكنك جمع الشظايا وإعادة تشكيلها من جديد بالطريقة التي ترضيكِ..

تقاطعها:

- لكن رغم ذلك ستبقى الآثار كما هي، ستكون الخدوش بارزة.

- ليس بالضرورة، يمكنك تحويل الخدوش إلى فسيفساء جميلة تنحتينها بعناية، فتلونينها كما شئت، وتدهشين الجميع بحرفيتكِ، وفي نهاية المطاف لن يكتشف أحد حقيقة تلك الفسيفساء؛ فالناس تهتم للظاهر عادة.. عليكِ أن تُخفي كل جراحك كي لا تُستعمَل ضدكِ كورقةٍ ضاغطة.

تتأمل الفتاة في صمت كلام العجوز، ثم تأخذ نفسًا عميقًا تليه ابتسامة عريضة، ثم تُبادرها بتساؤل:

- شكرا لك سيدتي.. لكنكِ لم تطلعيني على هويتك!

- تتجاهل تساؤلها وتكمل: إياكِ أن تسعدي أحدا على حسابك، فلا أحد يستحق، وإن كنت ترغبين بالتضحية فأبويك أحق بها من الحمقى الذين يحيطون بك.. ولا تتزوجي لكي ترضي الآخرين؛ فالقطار لا يفوت أحدًا، تزوجي فقط عندما تقتنعين بأنك عثرت على الرجل المناسب الذي سيجعل رحلتك ممتعة ومميزة، ويشجعك على إبراز أروع ما فيك..

تتجه العجوز باتجاه البوابة، ثم تلتفت مسترسلة:

- أتوقع لك مستقبلًا مزهرًا.. اعتني بنفسكِ يا"صوفيا" ولا تنسي أبدا ما قلته لك.

- لكن.. من تكونين؟ وكيف تعرفين اسمي؟

تبتسم:

- كيف أعرفكِ؟! أعرفكِ منذ وُلِدتِ، مُنذ وَّثقتُ أولى نبضاتك في سجلي.

تخرج العجوز وتوصد البوابة خلفها تاركةً "صوفيا" شاردة بما قالته، وماهي إلا لحظات حتى أطلت العجوز من جديد وقالت:

- أنا "الحياة" يا "صوفيا"! وآمل من أعماقي أن تنفذي تعليماتي.

ثم انصرفت بوتيرة بطيئة؛ أتاحت للفتاة الفرصة لتراقبها وهي توقف القطار للحظات لتتمكن من النزول، ولتختفي بعد ذلك في الضباب الذي يغطي الأفق، بينما يواصل القطار رحلته السرمدية.

تمت

بقلم / فاديا رمضاني - الجزائر

ولادة الأرحام إشاعة رائجة

أين أنا؟ من أكون؟ كان هذا السؤال الوحيد لابن عقلي، لم أكن مجنونة لأعيد السؤال مليون مرة، ولم أكن فاقدة الذاكرة حتى أسأل، لكن هذا السؤال عاش معي ليلالٍ و شهور، أريد أن أضع نقطة لدهاليز الشك وعتمة القدر.

أدري أن اسمي "أماني مراد كامل" ذات العشرين همًا، لكن هل أنا من عائلة "كامل" حقًا؟ هذا السؤال بات يرهقني، ينخر ويفتك بالجوزة القاطنة في رأسي، بينما عقلي وقلبي يقيمان دروسًا حول شكوكي، قطعت أمي أصواتنا الصاخبة اللامسموعة وفتحت باب الغرفة منادية للعشاء، جلستُ وسط عائلة -حبي لها لا يحد بحدود- بجوار صغيرتي لبنى وأمامنا أخي ياسر وأختي البِكْر ياسمين، وفي صدر الطاولة الرائعين "ماما" و "بابا"، مكثتُ معهم، وكلي يقين أنني جزءٌ يتجزأ منهم، يا إلهي! حتى في عيونهم الخضراء و شعرهم الأشقر أنا أختلف عنهم، كل الدلائل كانت واضحة تمهد لموضوع واحد؛ كوني غريبة عنهم .

بدأتُ أعيش داخل دوامة شكوكي منذ أذار العام الماضي بعدما سمعت عمتي تقول لأمي: "إلى متى ستخفين الحقيقة؟ متى تعلم أنها ليستِ ابنتكِ؟!"، البنت المقصودة هي أنا، طبعًا ليست "ياسمين" ذات الذقن الكبير كأبي أو "لبنى" ذات الشعر الذهبي كأمي، هي بالتأكيد أنا، لكن الشيء الغريب؛ أن لقبي نفس لقبهم، آه.. غبية ألم أدرس شيئًا اسمه

التبنـــي!، بعـدها دفعتنـــي تخمينـــاتي إلـــى تحليـــل DNA، فتَبُتـــت كـــل الإرهاصـات، تأكدت الآن أنني لست منهم، أمرٌ محزنٌ، أليس كذلك؟ شعور جَد مُحزن أن تعيش عمرًا وسط أشخاص لا تعرفهم، وغريب وسط عائلتك.. إلى أن جاء ذاك اليوم؛ حين قررتُ رمي كل الجمرات التي أَحرقت قلبي قبل لساني و أقطع حبال التوتر التي دامت لشهور، بينما كانت كل العائلة مجتمعة تشاهد التلفاز؛ دخلت الغرفة كالجوكر؛ ليفسد عليهم المشاهدة بخبري، قبَّلتُ والدايا، ضممتُ سكَّرَتي في حُضني وتبادلت الابتسامات مع عضدي اليمين واليسار ، ورددت بصوتٍ واحد: "من عائلتي؟"، ضحك إخوتي وصُدم والدايَّ، فهما الوحيدان اللذان يتقنان حل تلك المعادلة، بعد أشواطٍ من المراوغة؛ قررا أن يعترفا بأنني إبنة جارة لهما، كانت تسكن حيَّهما منذ عشرين عامًا، حيث ارتكبت خطأً ضد شرفها، فدفعتُ أنا ثمن غلطتها، فتكفلا هما بي، بعدها هربت للقاهرة خوفًا من الفضيحة، حل الخبر كنيزكٍ حارق.. ألهب كل أمالي، كنت أعلم منذ البداية أنني جئت لدنيا لعينة بسبب لعين، لكن للحظة خجلت من عار أمي، أنبتها لأني أدفع فاتورة غبائها، خجلت من جبن أبي ووقاحته، خجلت من كوني ابنة حرام، وسط عائلة شريفة لم تمنحني سوى كل ماهو جميل.

انعزلت لأيام في غرفتي، توقفت سيرورة حياتي لأيام، أما بالنسبة لهم كأن شيئًا لم يحدث، لا تزال لبنى تنام في حضني، وياسمين تصرعني بحكايات خطيبها عمر، وياسر يحضر لي الأيس كريم بنكهتي المفضلة، ولا أزال مدللة ماما و بابا، لكن أنا لم أعد أشعر أنني وسط عشيرتي، صرت أشعر كأنني البطة السوداء الغريبة عن الأخرين في كارتون توم و جيري، رغم أن أمي اقترفت ذنبًا وتركتني، إلا أنني أحن لها.. يا تُرى

كيف صوتها! شعرها! هل تشبهني؟ ماذا فعلت بها الأيام؟ عن نفسي غفرت لها؟ كانت مراهقة والمجتمع لم يرحمها.. حقًا أريد معرفتها.

"بابا أحمد" و"ماما راضية" كانا دائمًا معي، حتى في قرار تركهما، لكنني سأبحث عن نصفي الذي تركني، ولا أنسى كلي الذي رعاني، تكفيني معرفتها و زيارتها مرات فقط، بعد انتهاء السنة الجامعية؛ انتقلت أنا و درر حياتي إلى القاهرة، بحثنا عنها في كل مكان، سُهل الأمر قليلًا، خاصةً ونحن نعرف معلوماتها الشخصية، وجدتُها تسكن في منزل جد راقي، رأيتها وهي تخرج من بيتها برفقة بنتين جميلتين، احتضنتهما وركبوا السيارة.. حيث كان ينتظرهم رجلٌ أربعيني؛ يبدو عليه علامات الثراء، وأصوات ضحكاتهم لا تزال تسكن عقلي، تمنيت أن أكون معهم، وأصير الجزء الذي لا يتجزأ منهم، اشتقت لأمي التي سهرت شهورًا أرسم شكلها، أتخيلها بعيونٍ ورديةٍ عسليةٍ أم بنية!، اشتقت لماريا وأحلام التي بالكاد أتذكر أسماءهم حين نادتهم أمي قبل أن تغلق الباب

بعد أيام من التجسس، واستراق النظرات، والحنين المخفي؛ ذهبنا ثلاثتنا لمكان الحقيقة، طرقنا الباب.. ففتحت لنا الخادمة، بينما نحن ننتظر؛ دخلت أمي.. فبدأ قلبي بالخفقان، كلماتي تطايرت من فمي، انتابتني رعشة غريبة، فوجدتُّ نفسي مقبلة نحوها بعيونٍ دامعةٍ، وكلماتٍ متقطعةٍ؛ لأحتضنها.. أمي التي أتوق لعناقٍ صامتٍ معها.. أمي التي أقمت ليالٍ بيضاء أرسم رموشها، ذقنها، شعرها، بل حتى ضحكتها، أمي التي غفرتُ لها.. سامحتها لأنها رمتني، ورغم عيشتها الهنية.. لم تبحث عني ، لكن أحبها.. لأنها ببساطة أمي، لكن ماذا فعلت هي؟ صدتني.. وقالت باستهزاءٍ: من أنتِ؟، قاطعها أبي و قال نحن

عائلة مراد جئنا لنذكركِ بماضيكِ المنسي، لوهلة ظننت أنها تذكرتني، وأردت أن تضمني إليها، لكن بمجرد ما دلف للقاعة زوجها وبناتها تجاهلتنا.. قالت:"عذرًا.. لقد أخطأتم بالعنوان.. أسفة، لا أعرف السيدة المقصودة، رُبَّما اختلط الأمر عليكم"، فردَّ زوجُها بمنتهى اللطافة: "مين دول يا منال" فأجابته: " معرفش يا قصي.. تقريبًا غلطانين في العنوان"، واحتضنت بناتها، و فتحت الباب لنا وعينها تقول: "تذكرتكِ لكن غادريني.. أنتِ غلطة لا أريد تذكرها، أنتِ ماضٍ أسود أمقته، بأي حقٍ تعودين؟ بأي حق تبعثريني؟ ارحلي من حيث جئتِ.

كانت أخر ليلة من ليالي السهاد المتعلقة بتلك المرأة، عرفتُ أنها تخفي كل شيئٍ عن عائلتها.. تيقنتُ أنها سعيدة، تريد أن تنسى ماضيها، آآه ماضيها.. نسته منذ مغادرة بور سعيد، عرفت أنني بالنسبة إليها ذكرى سوداء، من الواجب نسيانها، نمتُ وألاف الأسئلة قد وجدت جوابها.. نمتُ مرتاحة وأنا أعرف أمي، أمي التي تخجل مني، وأبي الذي هاجر لأسبانيا منذ فعلته.

في الصباح التالي؛ استيقظتُ بثوبٍ جديدٍ، وقد رحل عني شعور "الميلانكولي" الذي اجتاحني لأيام.. تيقنتُ أن عائلتي هي أمي التي ضمَّتني قبل أن ترضعني، فالولادة حقًا من القلوب، وليست من الأرحام، وأبي الذي حملني قبل أن أحمل اسمه، وسكرتي التي لا ترضى بالنوم إلا في حضني، وياسمينة قلبي التي لا تثق إلا بي، وياسر عمود الدار وأخو البنات، إنني حقًا أشتاق لهم، بل أشتاق حتى لشجرة الكرز في حديقتنا الدافئة، خرجت ببسمتي المعتادة إلى العظيمين "ماما" و"بابا".. قبلتُهما.. شكرتهما.. واعتذرتُ لهما عن شهور الإرهاق، وقلتُ بصوتٍ

مشبعٍ بالفرح والرضا: "هيا نعود.. فالجميع ينتظرنا.. ليت طريق العودة يقصر، فقداشتقت إخوتي"

بقلم / جيهان حمدتني

يوميات سمير

ما أن وصل سمير إلى المكتب لاستلام عمله الجديد كمدير لإحدى الشركات، حتى وجد الموظفين في حالة غير عاديةٍ وقلقٍ واضح، وأبلغوه أن صرَّاف الشركة قد أصيب بإغماءة في البنك، أثناء إيداعه مبلغًا كبيرًا، يتعدى المائة وخمسين ألفًا من الجنيهات، فسألهم: ألا يوجد إسعاف أو طبيب بالفرع الرئيسي نستدعيه لمثل هذه الحالات؟! فكانت الإجابة أنها شركة تابعه لقطاع الأعمال، ولا يوجد بها مثل هذه الرفاهية!

اصطحب سمير معه اثنان من الموظفين، وذهبوا مسرعين إلى البنك، فأبلغهم المسئولون هناك أنهم أرسلوا الصرَّاف إلى مستشفى صغير في الطابق الأول من نفس البناية، فهو مُصابٌ بتشنجاتٍ، ويُصدر أصواتًا غريبة، و يخشون تحمل مسئولية وفاته (لا قدر الله) !.. انطلق سمير إلى الطابق الأول، وتبعه زميلاه، ودخلوا شقة كُتِبَ على بابها "مستشفى دار الشفاء والعافية"، وكان الاسم مُفرغًا من محتواه، فلا هى مستشفى ولا يوجد بها أي شفاء أو عافية!

ولكن كانت هناك ممرضة تقف حائرة، لا تدرك شيئًا مما ينبغي عليها أداؤه في مثل هذه الحالات.. عديمة الحيلة، بينما الصرَّاف المسكين

ممددًا على بلاط الأرضية، يُصدِر أصواتًا غريبة، ويعاني حالة تشنج مثيرة للشفقه!

- انتي ازاي ترميه على البلاط كده؟!.. وفين الدكاترة ؟ (قالها عادل بلهجة عصبية محاولًا إخفاء ارتباكه)

- مافيش يا أستاذ دكاترة دلوقت.

- أُمال انتي قاعدة هنا بتعملى إيه بالظبط؟!

- لوسمحت أنا ليا في الشغلانة دي أربعتاشر سنة.. ومش مستنية حد يعلمني شغلي!

ثم نظر إلى زملائه: شيلوه معايا!

نظر الإثنان إلى الجسد الممدد أمامهما متعجبين؛ كيف سيحملانه!.. فقد كان قصيرًا سمينًا، لاتعرف من أين تحمله تحديدًا وكيف!.. وبالفعل عندما حاول أحدهما حمله من تحت إبطيه، سحب القميص في يديه، وعندما حاول الآخر حمله من ساقيه؛ انزلق البنطلون في يده!

صرخ سمير فى وجه الممرضة: عندك نقالة؟!

ناولته نقالة؛ في محاولة منها للتخلص منهم وصرفهم من المكان سريعًا قبل أن يموت ويتهموها بأنها السبب، وهي ليست إلا جزءً ضئيلًا من منظومة متكاملة.

لم يكن حمله ووضعه على النقالة بالأمر اليسير، خاصةً وهو عاري الصدر، ولايلبس سوى الجزء السفلي من الملابس الداخلية، فكان جسده المبلل بالعرق ينزلق من أيديهم كلما حاولوا رفعه!..

انفكت النقالة أثناء نزولهم على السلم وانزلق المسكين، وشاهد سمير رأسه وهو يرتطم بدرجات السلم عدة مرات حتى وصل إلى الدور الارضى!..

زاد التشنج، وعلا صوت الصرَّاف الغريب، كأنه يعاني سكرات الموت..

تبرع أحد الموظفين قائلًا: "دى حشرجة الموت ياسمير بيه".

امتقع وجه سمير وشعر أنه سينهار، ولكن كان عليه أن يتماسك، فالموظفان فى غاية السلبية.. يقفان خلفه في انتظار أوامره، وكأنه خبيرًا بهذه الأمور!..

انطلقوا بسياره أجرة إلى أقرب مستشفى حكومي.. زحام شديد وموظف أمن يقف على باب الطوارئ لمنع الدخول..

أبلغه سمير بالحالة التي معه، هزَّ رأسه غير مكترثٍ: ممنوع ياباشا!

دفعه سمير ودخل مندفعًا داخل المستشفى بلاهدف، وفعلًا وجد أحد زملاء الدراسة يعمل طبيبًا هناك، لا يتذكر اسمه.. ولكن لا يهم، وقبل أن يذكره بنفسه.. جذبه من يده خارجًا يجرى به.. والطبيب لا يفهم، حتى وصل به إلى المريض المستلقي على المقعد الخلفي فى سيارة الأجرة، وطلب منه المساعدة باسترحام.

جاء الممرضون بالتروللي مسرعين.. بناءً على أوامر الطبيب، وبمجرد أن تدلت عجلات التروللي الأمامية عن الرصيف، حتى انفكت كل منها في اتجاه، وجرت في الشارع قبل أن يضعوا الصراف عليها.. كان الممرض ينظر إلى هذا غير مكترثٍ.. وكأنه روتين يومي معتاد!

جرى سمير وزملاؤه لجمع العجلات، في مشهد كوميدي درامي مأساوي مختلط!

وأعادوا تركيبها مثبتين أصابعهم عليها حتى لاتنزلق مرة أخرى، وطلبوا المساعدة من الأهالى المنتظرين خارج الطوارئ؛ لوضع الصرَّاف المنكوب على التروللي الأثري المتهالك الهارب من متاحف وزارة الصحة!.

ترك معظم الأهالى ذويهم، واتجهوا لمساعدة سمير.

اندفع هذا الموكب جريًا داخل طرقات المستشفى، والتروللي يئن من الحمولة، ويتخذ مسارات مغايرة، ويتم ترويضه قبل الارتطام بالحائط، حتى وصلوا أخيرا إلى المصعد.

عامل المصعد يأكل جزرة في هدوءٍ تام، وعندما شاهد الموكب قال بلا مبالاة: المريض بس اللى يركب، والباقى يطلعوا على السلم للدور السادس العناية المركزة!.

صعدوا جريًا إلى الطابق السادس، واستقبلوا التروللي، ودخلوا غرفة العناية..

خبرة سمير السابقة أن غرف العناية المركزة مكدسة بالأجهزة المعقدة الحديثة، ولكن مارآه كان مختلفًا تمامًا.. فهي غرفة تم طلاؤها بالجير الأبيض، ولا يوجد بها أية أجهزة تُذكر، إلا بعض بقايا من أجهزه عفا عنها الزمن، تُرِكَت لزوم الديكور فقط، وأثناء تجديد طلاء الغرفة تم طلاؤها باللون الأبيض مع الجدران "وش نضافه زي ما بيقولوا"!

جاء الطبيب متباطئًا، ونظر إلى الصرَّاف الذي مازالت أسنانه تصطك، و جسده متشنجًا، ومازال غائبًا عن الوعي، وقال له: "مالك؟!– ها- إيه- فيه إيه؟!.. - رد عليا"..

نظر سمير متفحصًا وجه الطبيب، هل هو خفيف الظل ويداعب المريض!، استكمل الطبيب خفة الظل ولطم الصرَّاف لطمات خفيفة على خديه مرددًا : مالك؟!..

والعجب العجاب أن الصرَّاف أفاق وهو يصرخ: "فين الفلوس؟ يالهوى الحقوا الفلوس!"

طمأنه سمير قائلًا: متقلقش، موظفين البنك أودعوها في حساب الشركة، واضح إنهم عارفينك كويس، وكانوا في منتهى الشهامة.

الطبيب: تقدروا تمشوا دلوقت.. بقى زي الفل!

سمير: بس يادكتور حضرتك ولا قست له ضغط ولا حللت سكر ولا حاجة خالص!

" آه صحيح".. قالها الطبيب بخجل ونادى الممرضه: هاتي جهاز الضغط يا نهي!

وفجأة علت صيحات وصراخ، وأصوات أبواب تتخبط مثل الزلزال، وجرى الجميع في هلع بالغ..

اختفى الطبيب والممرضات، واستوقف سمير إحدى الممرضات قبل هروبها، وسالها عن سبب الهلع!

الممرضة: أصل فيه عيَّان من الصعيد مات دلوقت، وولاده مصممين يكسروا المستشفى!

سمير: إزاي الكلام ده ؟!

الطبيب وهو يخلع البالطو أثناء الركض: شفت يابيه.. بقى بعد المجهود اللى بنعمله مع المرضى، الناس تتصرف كده!

صرخ سمير فى الموظفين: شيلوا بسرعة قبل ماننضرب احنا كمان، بلا ضغط بلا سكر!

رفع الموظفان الصرَّاف على الأكتاف وهو بالملابس الداخلية، وحمل سمير الملابس والحذاء ونزلوا مسرعين جدًا من سلم خلفي لجمع القمامة.. لايختلف كثيرًا عن حال باقى المستشفى!

دخلوا من باب الشركة، كالعائدين من صحراء أفغانستان، والجميع ينظر لهم في ذهول.. ملابسهم متسخة، وشاحبي الوجه، إلا الصرَّاف؛ فكانت ملابسه بين يدي سمير الامينه !

ارتدى الصرَّاف ملابسه، ومشط شعره، ولم يعلم ماذا حدث.. غير أنه أخذ يمسك بمؤخرة رأسه موجها كلامه لسمير: أنا حاسس بصداع جامد فى المنطقة دي ياسمير بيه.

نظر سمير للموظفين وابتسموا.. فقد ارتطمت هذه المنطقة بحوالى عشرين درجة من درجات السلم.. فيما يطلق عليه ظلمًا وبهتانًا لفظ المستشفى.

بقلم د/ سمير الشربينى

{هلْ جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ}

يجلسونَ علىٰ طاولةِ العشاءِ تحتَ الأنوارِ الخافتةِ التى تنبعثُ من المصابيحِ المُدَلَّاةِ من سقفِ حجرةِ المعيشةِ، ينهمكُ كلٌّ منهم في طعامِهِ ولا تجاوزُ عيناهُ صحيفتَهُ التى يأكلُ منها، والأبُ يَتَرَأَّسُ الطاولةَ وولدُهُ يجلسُ منه عن يمينِهِ، وتجلسُ زوجةُ ولدِهِ هذا إلىٰ يسارِه من المنضدَةِ، وتحاولُ في غيرِ جدوىٰ أنْ تُعبّرَ عن مدىٰ استيائها من نوعِ الطَّعامِ المُقدَّمِ لها في تلك الصحيفةِ السوداءِ، والتى تُشبِه الأواني التي كانَ أهلُها يضعونَ فيها الطعامَ لكلابِ قصرِهم المَنِيفِ الفخمِ، الذى كانَ مَضرِبَ المثلِ قبلَ أنْ يخسرَ أبوها كلَّ أموالِه في تجارَتِه المشبوهةِ فى السلعِ الغذائيةِ الفاسدةِ، حتىٰ انكشفَ أمرُهُ؛ فقدَّمَهُ أسيادُهُ كبشَ فِدَاءٍ لنجاتِهم من مأزقِ السجنِ، وكانتْ دائمةَ التأفُّفِ من كلِّ شيئٍ فى بيتِ زوجِها، غيرَ أنَّ حِدَّةَ حميها - والدِ زوجِها - كانتْ مانعةً لها من إظهارِ ما تعانيه من القسوةِ التي ترىٰ أنَّها غيرَ مُبرَّرةٍ؛ فلذا تستنكرُها في داخِلَةِ نفسِها، دونَ أنْ تهمسَ حتىٰ برفضِها لها؛ لعِلمِها بما قد تلقاهُ من هذا الرجلِ المُتغطرِسِ ذي الوجهِ الضخمِ العابسِ، فكانتْ تتأَبَّىٰ فى كلِّ مرَّةٍ يوضعُ فيها الطعامُ علىٰ تلك الطاولةِ التى تُشبِهُ في تصميمِها ومكانِ قرارِها طاولاتِ السجونِ، ولم يكن يمنعُها من هذا إلا أنَّها كانت تستلهمُ الصبرَ من زوجها الذي كان يقنِعها بالتماسكِ حيالَ تصرفاتِ أبيه لقربِ انقضاءِ أجلِه؛ بحسبِ زعمِ الأطبَّاءِ المعالجين له، فكانَ في ذلك سلوىٰ لها عن الرضا بأفعالِه الشائنةِ، تترقبُ الوقتَ لموتِه، وتمضي السنواتُ العشرُ من زواجِها؛ ولم يتحقق لها ما أرادته من زواجِها هذا - أن تبقىٰ في أقلِّ

التقديرات في مستوىٰ معيشتِها الذي اعتادته في بيتِ أبيها قبل افتقارِهم – فتزمجرُ وتنوحُ وتصرخُ في وجهِ زوجِها؛ لتخليصِها من عَنَتِ أبيهِ معها، إلىٰ أنْ تيسَّرَ لها ذاتَ يومٍ الوقوعُ علىٰ مستنداتٍ هامَّةٍ في مكتبِ والدِ زوجها، الذي لم يكن يأمنُ أحدًا علىٰ تنظيفِه سوىٰ تلك السيدةِ العجوزِ، التي عمِلتْ لديه منذُ كانَ ولدُهُ هذا حَملًا في بطنِ أُمِّهِ، فقد كانت تلك السيدةُ مصدرَ أمانِه علىٰ كلِّ ما يخُصُّهُ من مُتَعلقاتِه الشخصيةِ، وكانتْ تلك الوثائقُ التي عثرتْ عليها زوجةُ الإبنِ "منالُ" تشيرُ إلىٰ أنَّ والِدَ الزوجِ "كنعانَ"؛ يعتزمُ التبرُّعَ بأكثرَ من نصفِ ممتلكاتِه لمُنشآتٍ وقفيَّةٍ ليَنتفِعَ عامَّةُ الناسِ في مدينتِهم بها فتركت تلك الأوراقَ في محلِّها لِتُسرعَ نحو غرفتها لتقولَ لزوجها: أحمد.. قُم لخبرٍ لا أظنُّك تعلمُ عنه شيئًا.. فينهضُ من فراشِه مُتلهِّفًا في سُرعةٍ ليقولَ لها: ما الخبرُ، ما الخبرُ.. أجيبي، فتبادِرُه بقولها: إنَّ أباكَ اعتزمَ علىٰ التضحيةِ بك وبراحتِك، وكتبَ في وصيَّةِ موتِه أنْ تؤولَ كلُّ ممتلكاتِه لأعمالِ الخيرِ من بعدِه، وقد وقعت عيني علىٰ تلك الوصيةِ في مكتبِه حين دخلتُ لخادمةِ أبيك "أمِّ سعيدٍ"، وهي تنظِّفُهُ لأطلبَ منها كوبًا من القهوةِ لي، فهرعَ من فراشِه مُتَّجِهًا لمكتبِ أبيه؛ ليتحققَ من صحةِ ما ذكرته عنده زوجتُه، فإذا بأبيه في الغرفةِ، علىٰ كُرسيِّه المتحرّكِ فرجعَ عنها كي لا يلمَحَهُ أبوهُ فيُعَنِّفُه، ولم يكن الابنُ الشقيُّ يدرِكُ سببَ اغتياظِ والدِه من زوجتِه، فانصاعَ لها في خنوعٍ تحتَ وطأةِ الغضبِ الذي ملأتهُ به نحو أبيه زيفًا وزورًا، فلم يكن الرجلُ المُسِنُّ يعتزمُ حرمانَ ولدِه الوحيد من حقِّهِ في الإرثِ كما أوحت له بذلك زوجتُه، فتهيَّأَ "أحمدُ" وعمدَ مع زوجتِه إلىٰ التخطيطِ لنيلِ ما يظُنُّه حقَّهُ من أبيه قبلَ أنْ يموتَ كما أخبرَ بذلك الأطباءُ، فقالت له زوجتُه: ليس لك أنْ تتراخىٰ عن المطالبةِ بحقوقكَ من أبيك ولو بالقوَّةِ، فأجابَها غاضباً: ليس للقوةِ في هذا

مجالٌ.. بل التحايلُ؛ إنها الحيلةُ جميلتي، فقالت وهي تضعُ كلتا يديها علىٰ جانبَى خصرها: وكيف ذلك أيها العبقريُّ الفذُّ؟ فقال: عمَّا قليلٍ سترينَ كيفَ أنَّ المراوغةَ والمكرَ يُثمِرانَ أفضلَ مما يمكنُ أنْ يأتيَ به العنفُ والقوَّةُ! ثم ينصرفُ من عندِها ويُعِدُّ عصيرَ أبيه الذي اعتاد شرابَه قبل دوائِه الذي يتناولُه مساءً لعلاجِ الجلطةِ التي أقعدته في كرسيِّه المتحركِ منذ ما يزيدُ علىٰ العام -ولم يكن يعلم لها أحدٌ سببًا إلا هو، ومع ذلك أبىٰ التصريحَ – ثمَّ قامَ بإعطاءِ أبيه عصيرَه المعتادَ؛ فنام الرجلُ ريثما تناولَه، فابتدرَ ولدُه مفاتيحَ مكتبُه من جيبِه وفتحَه واطَّلعَ علىٰ ما في خزانتِه من الأوراقِ التي بدا له منها صدقَ جانبٍ من كلامِ زوجتِه فأذهلَه ذلك لعلمِه بكذبِ أكثرِ حديثِها عن أبيه وتساءَلَ: لِمَ تنصبُ تلك الفخاخِ لي ولأبي!.. ولأيِّ غايةٍ كانتْ ترمي حين أخبرتني بضرورةِ أخذِ حقي من أبي بالقوةِ أيُّ قوةٍ تلك التي عَنَتها؟! وبعد حينٍ ترك أباهُ علىٰ تلك الحالةِ في كرسيِّه، ثمَّ خرجَ لمعاودةِ لِقاءِ زوجتِه في حجرتهما، فاستقبلته قائلةً :- ماذا صنعتَ؟ فأجابها مبتسمًا؛ وقد رفعَ يدَه في وجهها ومفاتيحُ أبيه بين أصابِعِه: لقد فتحتُ خزانته بعد أنْ وضعتُ له مُخدِّراً في دوائِه، وأخذتُ منها خاتمَ توقيعِه لنقلِ ملكياتِ كلِّ شيءٍ لي، فتعاجلُه بصوتٍ مُرهفٍ وهي تحتضنهُ بقولها: لك وحدك! فيقول ضاحكًا: لا.. أعني لي ولكِ، فقالت: كيف سيتسنَّىٰ لك فعلُ ذلك وأبوك في أعلىٰ درجاتِ وعيِه؟ أجابها: سأعطيه هذا المُخدِّرَ كلَّما أفاقَ حتىٰ يتحقَّقَ لنا ما نريدُه، فتصفِّقَ كالبلهاءِ فرحةً بما تسمعه وتقولُ: أنتَ داهيةٌ.. وتخلو لنفسِها قليلًا فتحدِّثُ نفسَها قائلةً: لن تنالَ بعد الخلاصِ من أبيك أيها الغبي جُنيهًا واحدًا.. ستكون تلك الثروةُ كلُّها لي مع من أُحِبُّ.. وفي خلوةٍ أخرىٰ لزوجِها يُحدِّثه ضميرُه قائلاً: تُرىٰ لأيِّ أمرٍ تعقدينَ النِّيَّةَ! ولمَ تكرهينَ أبي لهذا الحدِّ؟ عمَّا قليلٍ سأستبينُ الأمرَ، ولم يوقظْهما من

شرودِهما إلا صوتُ أبيه ينادي : "يا أحمد"، فنزلَ إليه من غرفتِه ولم يلبث معه إلا وقتًا يسيرًا، ثم صعدَ لزوجته فقالَ لها : إنَّ البقاءَ علىٰ أبي سيفسدُ علينا ما خططنا له، وليس لدينا من سبيلٍ سوىٰ .. سوىٰ .. فتُقول صائحةً في وجههِ: سوىٰ ماذا؟! تكلم.. فيقول كالمُشفقِ باكيًا: أنْ نتخلَّصَ منه.. فتقولُ زوجته: القولُ ما أشرتَ به زوجي العزيز، فإنَّ أباك قد طالَ عمرُه بما لم يتوقعه له الأطباء، وفي بقائِه عذابٌ لنا.. ولمَّا حانت ساعةُ التنفيذِ ليلًا في غرفةِ الأب؛ دخلا عليه بسلاحيهما، وبدأتْ بإطلاقِ النارِ عليه في ضراوةٍ كأنها تثأرُ منه، ثمَّ بعد أنْ اطمأنَّتْ لموتِ الرجلِ انحرفت قليلًا لتصوّبَ سلاحَها نحو زوجها وهي تقولُ ضاحكةً: أظنُّك اكتفيتَ من العيشِ ونعمتَ فيه أكثرَ مما تستحقُّ، وقد حانَ لي أنْ أحيا كما أحبُّ مع من أحبُّ، وأطلقتِ النارَ عليه، فكانَ وقعُ المفاجئةِ عليها أمرٌ أعظمُ مما يمكن استيعابُه أو تخيُّلَه، فوقف ثابتًا أمامَ الأعيرةِ الناريةِ الموجهةِ صوبَ قلبِه، بل وكان يضحكُ ضحكاتٍ هيستيريَّةً، فتفجعها المفاجئةُ الكبرىٰ حين تحوَّلت بنظرِها لأبيه فإذا به يتحركُ من سريره علىٰ قدميه ليُمسكَ بها ويضمَّ إحدىٰ يديها علىٰ الأخرىٰ، ويقولُ: اعتقدتِ سوءً أنَّ حقيقة خيانتك لولدي في بيتِه وفي سريرِه ستظلُّ تخفىٰ عليه، وزعمتِ عبثًا أنَّ مرضي كانَ لفرطِ تناولي الخمورَ، وأنتِ تعلمينَ أني لم أكنْ أعاقرها قطُّ، وحقيقةُ الأمرِ أني أصبتُ بما أُصبتُ حينَ أبصرتُك في فراشِ ولدى مع حقيرِكِ، فقالَ الزوجُ المخدوعُ: لم يكن التخطيطُ للخلاصِ منك شأنًا صعبًا، فغباؤك هو ما أوقعَ بك في ذلك الفخِ، وقد اتفقتُ مع أبي - بعد أنْ اطلعتّث منه البارحةَ علىٰ حقيقتك المرةِ - علىٰ تلك الخطةِ، فنظرت إلىٰ ذلك المُسدَّسِ في يدُها نظرةَ مُستغربٍ في ذهولٍ: فضحك زوجُها وقالَ لها في سخريةٍ: لا تعجبي عزيزتي؛ فقد

أعطيتُكِ مُسدَّسَ الصوتِ الذي كنتُ ألهو به صغيرًا، ثمّ أخذاها بعدَما قيَّدَاها وألقيا بها في قبو البيتِ حتىٰ تلقىٰ الموتَ فيه جوعًا وعطشًا..

بقلم / محمد حمدى الشعار

وجع..

أمرني أبي ذات يومٍ بالذهاب إلى المشفى العام؛ لزيارة إحدي القريبات، ولكَم أحسست بوطأة هذا الحمل الثقيل الذي ألقاه أبي على كاهلي، فلم يكن يسلبني راحتي ويوجع قلبي سوى مشاهد الدموع والأنين التي كثيرا ما تصاحب المرضى، ولكني أمام فرمانات أبي لا أملك سوى الموافقة والانصياع..

في غد هذا اليوم، وبعد الانتهاء من عملي، عرجت على المشفى العام وصعدت إلى الدور الثاني حيث قسم الاستقبال، فالمريضة التي أبتغي زيارتها أتت إلي المشفى جراء حادث طريق، كنت قد دونت اسمها في ورقة خشية النسيان، أخرجت الورقة الصغيرة من بين يدي وقرأت الاسم على إحدى الممرضات، فلم أكد أنطق الاسم الأول حتى أشارت نحو أحد العنابر وهي تقول:

- السرير المجاور للباب.

طرقت الباب طرقًا خفيفًا.. فلم يُجب أحد، دفعته برفق ففُتح، فوجدت رائحة البنج ومخلفات الأدوية تندفع إلي أنفي وتملأ رئتاي، فتراجعت قليلًا للوراء لأنال قسطًا من الهواء النقي تعينني على الدخول إلي العنبر مجددًا.. كان المكان مظلمًا موحشًا وكأنه أقرب إلى القبور منه إلي العنابر التي من المفترض أنها أُنشئت لراحة المرضى وتَداويهم.. رحت أنظر يمنة ويسرة؛ فلم أجد سوى غرفة ضيقة لا يوجد بها أماكن

للتهوية، سوى نافذة صغيرة لا تكاد تسمح بمرور طفل في شهوره الأولي.. وعلى ضوء الشعاع المنبعث من النافذة الصغيرة؛ استطعت الوصول إلى كابس الضوء، فضغطته.. فوجدت نورًا ضئيلًا يأتي فلم يغير الكثير.. الحجرة بها سريرين، كانت المريضة تنام على أحدهما والآخر لا يوجد عليه لا مرتبة ولا وسادة ولا أي شيئ سوى شبكة من حديد أكلها الصدأ.. بين السريرين ممر ضيق يصل بي إلي حيث النافذة، وضعت أكياس الفاكهة التي بيدي وراء الباب؛ فوجدت الرائحة الكريهة التي انبعثت حين دخولي تزداد، فأمعنت النظر فرأيت أكياس القمامة والمخلفات موضوعة بجوار الباب، فتملكني غيظٌ وضيقٌ، ووجدت زفرة حارة تنطلق من داخلي، ووضعت الجريدة التي بيدي على الشبكة الحديدية الموضوعة على السرير المقابل وجلست عليها، ورحت أنظر إلي تلك المستلقية على سريرها وأنتظر؛ علَّه يأتيني من يرافقها فيعلم بحضوري فأتمم مهمتي وأنصرف.. ولكنني وجدتها في سُبات عميق، وقطرات المحلول المعلق تنساب نقطة نقطة إلي ذراعها الذي تعرى نصفه، كانت تتغطى بغطاء مهترئ، هو في الأصل أبيض، لكنه تحول إلي ألوان متعددة من كثرة الأصباغ والأوساخ التي نالت منه، والوسادة هي الأخرى لم تكن أفضل حالًا من الغطاء، فقد تناثرت عليها بقع ظاهرة وآثار دماء مستوطنة..ووسط كومة الأوساخ والأوجاع التي مزقت روحي رأيت وجهًا ملائكيًا ينام في وداعة، فاقتربت منها حتى أستطلع ملامحها جيدًا، وتأكد لي أنها في منتصف العقد الثالث أو ربما أقل..

جلست قرابة الساعتين أنتظر قدوم أحد حتى أنصرف، ولكن لم يأتِ أحد، إلا ممرضة أتت كي تنزع من يدها المحلول.. وحينما لمحتني الممرضة نظرت إلي بدهشة وهي تقول:

- حضرتك تعرفها؟!

فقلت بتلعثم:

- لا.. وإنما أرسلني أبي لزيارتها.

فرأيتها تهز رأسها وتمصمص بشفتيها، بينما تنظر نحوها بشفقة وعطف، ولم تكتفِ بذلك؛ بل راحت تهمهم وكأنها تحدث نفسها:

- لم يزرها أحدٌ منذ ما يقرب من عشرة أيام وهي على تلك الحالة، دموعٌ تنهمر من عينيها بينما لسانها صامت حتى أننا شككنا في أنها بكماء..

وبعد أن انصرفت الممرضة، لست أدري أي حالة تلك التي تملكتني! فلقد اقتربت منها وظللت بجوار السرير أمعن النظر في تلك الملامح البريئة، وتعجبت كيف لم يزرها أحد؟!

وهنا وجدتها تتململ في فراشها، ثم تفتح عينيها بتثاقل وتنظر نحوي في دهشة بدت ظاهرة.

ظلت علي تلك الحالة مدة ليست بالقصيرة.. كنت أنظر إليها بعينٍ حائرةٍ ولا أدري كيف أو بمَ أساعدها.. قمت من جلستي، اقتربت منها ولم يبقي بيني وبينها سوى أقل من خطوة واحدة، وقلت لها بصوتٍ خافت:

- أتريدين شيئًا يمكنني فعله؟

فلم تُجب، ونظرت إليّ والدهشة لا زالت تلازمها.. فلم أجد سوى معاودة السؤال بشكلٍ آخر:

- هل تريدين أن أنادي لك طبيبًا؟

فلم تأتِ بجديدٍ يُذكر، وأحسستُ أن تلك الفتاة ربما لم يعد لديها رغبة في الحياة، أو أنها تود أن تسارع بمفارقة الدنيا بعد أن أخبرها أحد الأطباء القاسية قلوبهم بحقيقة مرضها اللعين، فجعلها ترقد في انتظار الموت.. ويا له من إحساس شديد الغلظة والوطأة، ينشب مخالبه وأنيابه في روح من يتملك منه، فيرديه قتيلًا وإن بدا للناس حيًا..ودارت برأسي الوساوس ونسجت بدورها قصصًا وقصص.. ولم أفق من كل هذا إلا على صوت رنين هاتفي، كان أبي هو المتحدث يطمئن أني أنجزت المهمة على أتم وجه..

أنهيت حديثي مع أبي بشيئٍ من العجلة، وعدت إليها مسرعًا وانحنيت أمامها حتى كاد وجهي أن يصطدم بأذنها في محاولة جادة مني أن أُسمعها ما أقول، لكنها مجددًا لم تلتفت إلي ولم تبدِ دهشة أو تتغير لها ملامح.. بل ظلت شاخصة ببصرها نحوي وعيناها مثبتتان نحو الفراغ وجفونها لا تنغلق.. تركتها وخرجت أبحث عن طبيب أحدثه في أمرها، أو حتى ممرضة.. وأقف على طبيعة إصابتها، وهل فقدت النطق أم ماذا؟ واستطعت بعد عناء ومشقة أن أتحدث إلي الطبيب الذي قام باستقبالها ليلة وقوع الحادثة، وأخبرني أن الإصابة الخطيرة؛ كانت تكمن في ارتجاج مضاعف في المخ وجرح عميق بالجانب الأيمن،

ولولا عناية الله لانشطرت الكلى عن آخرها.. أما بخصوص النطق؛ فلا ندري إن كانت تتحدث قبل هذا أم أن فاجعة الحادث قد أصابتها بصدمة عصبية ممتدة الأثر.. سمعت منه ثم عُدت إليها مهرولًا، فوجدتها على حالتها من الصمت والشرود.. وحقيقةً أنني أحسست تجاهها بشفقة وعطف تملكا مني بصورة يصعب وصفها، ولم أدرِ ماذا أفعل كي أساعدها وأري الابتسامة على وجهها قبل خروجي..

عُدت إلي البيت فوجدت أبي في انتظاري يريد أن يطمئن على حالتها، فذكرت له ما كان من أمرها، وشرحتُ له ما ذكره لي الطبيب.. وكيف أنها لم تتحدث منذ دخلت المشفى.. وذكرت له أيضًا كيف أنه لم يزُرها أحدٌ حتى الآن.. فرمقني أبي بنظرة كلها شك وريبة ولسان حاله يقول: على ما يبدو أنك لم تذهب من الأساس.. ثم ما لبث أن أخرج هاتفه وما هي إلا ثوانٍ معدودة وسمعته يقول:

- آلوو..

- وعليكم السلام..

- لقد عاد احمد منذ دقائق من عند آمال وأخبرني أنه لا يوجد أحد عندها، وانتظر طويلًا حتي يطمئن من أحدكم على حالتها ولم يجد وها هو عاد لتوه.

- الحمد لله علي كل شيئ .

وضع أبي الهاتف جانبًا، ثم قال باقتضاب، ودون أن ينظر إليّ:

- يبدو أنك محق.. فلم يذهب شقيقها إليها اليوم، ووكَّل الأمر إلي ابنه الذي ربما كان هنا أو هناك وقت زيارتك.. ثم أنه أخبرني أن حالتها متأخرة وتسوء يوما بعد يوم، وأنه يلزمها إجراء عملية جراحية دقيقة لتنظيف الدم المتجلط تحت عظام الجمجمة، وإلا زاد حجمه وعظم أمره وضغط بشدة على جانب المخ الأيسر.. وهناك أمور أخرى لم يشأ ذكرها.. وكأن أيامها معدودات.

وقعت عليّ كلمات أبي كمطارقٍ ثقيلة تضربني في أنحاء متفرقة من جسدي.. ولم أنتظر لإكمال غدائي، وتعللت بانصراف نفسي عن الطعام ودخلت غرفتي شبه مقتول.. وعادت بي ذاكرتي إلي حيث صورة الملاك النائم وهي تتململ في فراشها وتنظر إليّ بتثاقل.. كانت رائعة الجمال رغم أنف الشحوب والمرض.. أنفٌ دقيق لا هو بالصغير ولا هو بالكبير، ووجنتان اختلط بياضهما بحمرة قانية، وعينان واسعتان كعيون ريمٍ شارد، وأهدابٌ طويلة، وحاجبان لم أرَ مثلهما في الروعة.. وأطلقت من داخلي زفرة كلها ألم ورحت في نوم عميق.

أنهيت عملي في اليوم التالي، لأجدني ودون إرادة مني أتوجه صوب المشفى، وكأن غيري هو الذي يتولى زمام أمري، وقد لاحت لي بارقة أمل في أمرٍ ربما يخفف عنها بعض الشيئ، إذ هداني تفكيري لإحضار أوراق وقلم، وما عليها سوى أن تكتب فقط ما تود قوله.. لست أدري أي قوة كامنة تلك التي دفعتني إليها دفعًا.. وبرغم أني علمت بالأمس مصيرها المحتوم ونهايتها التي تقترب منها ساعة بعد ساعة؛ إلا أنني لم ألتفت لكل هذا.. وتملكني شعور بأن الآمال العريضة يمكنها أن تنتشل آمال من محنتها.

قطعت الطريق المؤدي إلي المشفي مهرولًا، وما هي إلا دقائق معدودات وكنت أمامها وجها لوجه، كانت مستيقظة، وأحسست بإحساس ملهوف لا يكذب صاحبه؛ أنها قد انتشت من رؤيتي ثانية، وكأنما قد اعترتها سعادة حلت على حين غرة منها.. قلت لها بصوتٍ مسموع ولم أبتغِ إجابة.. بل تحدثت وكنت على يقين أنها تسمعني:

- آمال.. لا عليكِ.. لا تلقي بالًا لقول الأطباء ولا تهتمي لأمرهم، وإنما الآمال والآجال بأمر الله، ومن منا يدري متى نهايته أوكيف؟ ومن منا يدري تلك البقعة من الأرض التي ستشهد نهايته؟!

لقد أحضرت لك أوراقًا وقلما لكي تكتبي ما شئت إن كنتِ تجدين صعوبة في الحديث..

أنتهيت من كلماتي؛ فوجدت أساريرها تنفرج فجأة وتتهلل، وعيناها تلمع بلمعان يحمل كل سعادة، وحينها اقتربت منها ووضعت بجوارها الأوراق والقلم.. فمدت يدها بصعوبة وأمسكت بالقلم، فعاونتها على وضع الورقة أمامها.. فكتبت تلك الجملة:

لم يزُرني غيرك! ولم يعلم بعشقي للأوراق والأقلام غيرك!

ثم وضعت القلم واقتربت من يدي التي تمسك الورقة وقبلتها بشفتين باردتين، والدموع تتساقط من عينيها على بقية الورقة الخالي من الحروف.

سحبت يدي برفق بعد أن انتابتني قشعريرة سرت في بدني سريان النار في الهشيم، وحاولت جاهدًا أن تبدو انفعالاتي وملامحي؛ ملامح مشاركة ومؤازرة، لاملامح شفقة وعطف، وأمسكت بيدها من جديد ووضعتها على الورقة البيضاء.. وكأني كنت أستحثها كي تكتب وتخبرني بكل ما يخفيه هذا الجسد الصامت.. وأحسست بسعادة غامرة حينما وجدت فكرتي تؤتي ثمارها، ورأيتها تكتب جملة أخري أعمق وأشد أثرًا.. جعلتني أرتاب في أنها ليست كمن يمسك القلم، لمجرد أن يخط كلمات.. بل هي من هؤلاء الذين ينسجون من حروفه بساتين ورود فواحة أحيانًا، وأحيانًا أخري يجعلون الحروف تئن وجعًا وتصرخ ألمًا، ومن ذا الذي يستطيع فعل هذا إلا الشعراء والأدباء! ومن منحهم الله أحاسيس تثير الوجدان.

جلست معها؛ فنسيت المكان والزمان، بل نسيت أنني عليَّ العودة إلي البيت لإنهاء بعض الأمور العالقة، ونسيت أيضًا تلك العلة المريرة وذاك المرض الذي يستفحل بداخل ذلك الجسد المنهك الذي يتلبسه روح ملاك في ابهي صورة.. ولم أعُد إلي نفسي إلا مع صوت آذان المغرب؛ فودعتها وأردت الانصراف، فوجدتها تهز الورقة بعنف، وتمسك القلم بشيئٍ من العجلة والتسرع حتى خطَّت تلك الجملة:

- أعلم أنه يتوجب عليك الرحيل الآن.. ولكن لا تغب عنا.. وإلا فالشمس محجوبة عن سماءنا.. والروح مفارقة للجسد.

يا الله.. ما هذا الذي يحدث لنا فجأة من مجرد حروف متراصة! أي زلزالٍ هذا الذي وقع بروحي وفاق كل معدلات ريختر الحسابية؟!

قرأت الجملة وقلت لها بصوت خافت وكأنه يخرج من داخلي خائفًا مرتعبًا:

- بكل تأكيد سأعود في الغد

لم أدرِ ماذا حل بي حقيقةً.. كل الأحداث التي مرت بي منذ ذهبت إلى المشفى؛ تعود إلي عقلي مرورًا بروحي وخواطري، فلا يستبين سوى أمرواحد، ولكني كنت أهرب منه هروب من داهمه أسد طليق على حين غرة.. وحاولت جاهدًا أن أبدو متماسكًا، وأن أعيد ترتيب مشاعري وأحاسيسي على الوجه الذي يرتضيه عقلي ويجيزه، فما هي سوى مريضة، لا أمل من شفائها -والأعمار بيد الله- ولكن لا يجوز لي أن أخلط الأمور ببعضها، وإلا كنت أول من يسارع بالقضاء عليها.. وحينما وصلت إلي هذا الحد من التفكير والتروي، وجدتني منجذبًا إليها رغم كل شيئ!.

في اليوم التالي وكالعادة؛ أنهيت عملي وعدوت مسرعًا قاصدًا المشفى التي باتت أحب الأماكن إلي قلبي، وصارت رائحة البنج والأدوية هي مسكي وعنبري، وأصبحت آنات الموجوعين وآهات الثكلى ودموع المرافقين كأبيات شعر ناعمة أو موسيقى متناغمة.. وصلت إلي الممر الضيق الذي يفضي بي إلى حيث حجرتها، وهناك صادفت إحدى الممرضات التي ما أن رأتني حتى قالت:

ماذا فعلت بها؟ وما هي أدويتك التي حولتها من جثة هامدة إلى فتاة تستقبل الحياة؟ أيمكن لقلمٍ وبضعة أوراق أن يفعلوا ما عجز عنه الطب..

أم تُراك ساحرًا ونحن لا ندري! ولكن حتى السحر هو الآخر فمآله خراب وعذاب، ونحن نرى عكس ذلك!

استمعت إليها بابتسامة عريضة، ثم تعللت بالعجلة من أمري وانصرفت مهرولًا نحو آمال.. وما أن فتحت الباب حتى وجدتها تجلس في سريرها وتستند إلى وسادة خلف ظهرها وتمسك بالقلم وتكتب.. وما أن رأتني حتي ألقت بالأقلام والأوراق ونظرت إليّ نظرة عاشق أضناه البعد وفجعه الفراق، وها هو يعود لحبيبه، وبرغم أني علي دراية تامة بتلك النظرات وما تخبىء، إلا أني حاولت أن أظهر لها أني لم أعيها.. وكنت اهرب بعيني بعيدًا، خشية أن تلتقي بعينيها فيفُتضح أمري.

صارت الأيام بعد ذلك على هذا النمط الذي قربني منها قربًا لا يوصف، وكنت دائمًا أتساءل: أين هؤلاء الأهل الذين يزورونها؟ ولمَ لم أصادف أحدهم حتى الآن؟ أم تراهم قد استيأسوا من أمرها، وينتظرون كل يوم خبر موتها فيهرولون لاستلام جثتها وربما حتى لا يهرولون! وهممت بأن أكتب للفتاة ما في نفسي تجاه أهلها وجحودهم، ولكني تراجعت في اللحظة الأخيرة، إذ حدثتني نفسي بأنه ربما يسوؤها ذلك، فأضيف إلى جراحها جُرحًا جديدا.. وأضمرت في نفسي بأن أُخبر أبي بما كان من أهلها من غلظة وجحود..

في المساء أثناء تناولي العشاء بصحبة أبي، وبينما أحاول أن أخبره بما كان من أهل الفتاة؛ وجدته يشير إليّ بالصمت حتى يرد على هاتفه، ووجدته يقول وقد تغير لون وجهه:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.. اللهم ثبت قلوبكم.. وليرحمها الله رحمة واسعة.. سأكون عندكم بعد دقائق.

تساقطت من يدي بقايا الطعام وانخلع قلبي خلف أضلعي، وشعرت بجسدي ينتفض وتسري فيه قشعريرة وكأنها سكرات موت أتت بغتة.. حاولت أن أتكلم.. أن أصرخ.. فلم يعنِّي لساني علي ذلك.. أما عيناي.. فوجدت بهما دمعتان كبيرتان تهمان بالسقوط، وحاولت جاهدًا منعهما حتى أقف على حقيقة الخبر، وحينها التفت إليّ أبي قائلًا:

- آمال.. تعيش انت.

حينها وجدت دموعي تنساب كالسيل حتي أن أبي تعجب من أمري فلم أكن أنا الذي تنساب دموعه في أشد المصائب ألمًا.. حتي أنه همَّ بسؤالي ولكن الموقف لم يسعفه.

انطلقنا كفارسين في سباق، وما هي إلا دقائق وكنا أمام المشفى.. قفزت من العربة تاركًا أبي خلفي.. كل ما كان يشغل تفكيري حينذاك أن ألقي عليها النظرة الأخيرة.. نظرة الوداع التي ليس بعدها نظرات، وأن أجلب معي كل الأوراق التي بثت فيها خواطرها، وتلك القصص التي كتبتها بقلمها الساحر الآسر.. كنت أعدو في طرقات المشفى ودروبها كلصٍّ يحاول الفرار ويصطدم بكل من يقابله، اصطدام لا يخشى معه الموت نفسه.. حتى وصلت إلى غرفتها، وقفت هنيهة ألتقط أنفاسي ثم تخيلت أني سأفتح الباب للمرة الأولى فلا أجد ساحرتي.. وبالفعل أمسكت يدي مقبض الباب، وحينما انفرج حتى آخره وجدت السرير خاليًا منها، فاقتربت ورفعت الوسادة؛ فوجدت كومة كبيرة من الأوراق

والأقلام، فرفعت الأوراق إلى صدري ووجهي اشتم فيها عبيرها بينما وجدتني أبكي بصوت مسموع.. وبعد دقائق هدأت من روع نفسي، وراحت عيني تقرأ الورقة التي بدت مختلفة عن غيرها.. كانت تعلو الأوراق ومطوية بعناية وكأنها كانت معدة لتُعطَى لشخصٍ ما، وفتحتها وقرأت الأتي..

- أنا لست بكماء كما يظن البعض، كل ما هنالك تلك الصدمة العصبية التي انتابتني حينما أصر أبي على زواجي من ابن أخيه.. فسارعت بالهروب خشية أن يحدث هذا فآثرت أن أموت مرة على أن أموت آلاف المرات مع رجلٍ لا تربطني به سوى ورقة في سجل الأحوال المدنية..

بالمناسبة أنا مترجمة وروائية مبتدئة، صدر لي روايتان.. "لست حبيبي"، و"ما زلت انتظر"..

وهنا لم أصدق نفسي.. إذ وجدتني أسترجع ذاكرتي وأصيح.. "آمال صلاح".. ثم أكملت القراءة وعرفت أنها نُقلت إلي المشفى جراء حادث، وهنا سمعت أبي يصيح بأعلى صوته:

- أحمد..أحمد..

فذهبت إليه مسرعًا، بينما الأوراق بين أحضاني أضغط عليهما بذراعيَّ خشية أن تتفلت ورقة واحدة، ولما رآني أبي قال بلهجة جادة صارمة غير عابئ بتلك الأوراق التي أحتضنها:

- أحمد.. لقد أخبرني شقيق آمال أنهم قد دفنوها منذ ساعة، بعد أن قاموا بإنهاء كآفة الإجراءات وقد اتصلوا بنا في وقت متأخر.. وقد عنفته علي هذا .

وحينما انتهي أبي من كلماته؛ كنت كمن فارقته الحياة.. ولكنها ردت فجأة حينما لمحت طيفًا من بعيد يتهادي بينما يستند إلى ذات الرداء الأبيض.. تلك الملامح أعرفها.. وتلك الابتسامة أحفظها عن ظهر قلب، ولما رأتني وجدتها تهرول إليّ مسرعة ثم تفتح ذراعيها وتغوص في أحضاني وهي ترددد:

- أحمد.. أنا أتحدث! أنا أنطق!.. لكم كنت أتمني أن يكون أول نطقي هو حروف اسمك.

عرفت بعدها ان آمال التي رحلت قريبة أبي كانت في العنبر المجاور وأن آمال صلاح الكاتبة-حبيبة القلب والروح– دخلت إلى هذا العنبر الموحش لأنه لم يكن هناك أحدًا برفقتها، ولم يكن لديها من الوساطة والمحسوبية ما يجعلها تنزل بعنبر العقلاء.. ورُبَّ صدفة تقودك إلى حيث قدرك.. ورُبَّ صدفة تقودك نحو حبك..

بقلم / أشرف غازي

"البلهاء"

اسكبي لي الماء، ليس بهذا الشك ، ألا تجيدين فعل شيئ أبدا، قالت دون صوت: ربما إن توقفت

عن الصراخ بوجهي قد أفعل، إننا زوجين وأبناء عم، ورغم هذا أشعر بالكثير من الخوف والضيق حين أراك، انتبهت لصوته يتمتم بكلمات قاسية قبل أن يغادر المنزل ، ففكرت مليا ثم لحقت به وهي تردد "سأخبره أنني لست كما ينعتني، وليعلم أن لدي الكثير، لكنه فظ وكثير الانفعال ودائم السخرية.

راقبته عن كثب وقد دخل إلي مكتب والده الواقع بالجهة الخلفية للمنزل، أثارها الفضول لمعرفة ما يقولان عنها، فسمعت ما كاد أن يصيبها بالصمم : أريد أن أزيد لها الجرعة، لم أعد أحتملها أكثر، أنت من أدخلني بكل هذا، سحقًا لثروة أخيك التي جعلتني أتزوج تلك الجاهلة الحمقاء، إنها فتاة أمية بلهاء.. لا تفقه شيئًا.. قاطعه والده بصوتٍ هادئ : تذكر، نحن من منعها من تلقي العلم بعد موت والدها، إنني أرتب لكل شيئ منذ زمن، ولا يجدر بنا أن نتعجل الآن كي لا ينكشف أمرنا ، سنتخلص منها قريبًا ونحصل على ما نريد لا تنسى أن لا وريث لها سواك، فعليك أن تحسن معاملتها كي لا ندع مجالًا للشك، وألا تبقى أيضًا عابثًا مكتئبًا، فالجميع يلحظ هذا، أخبرني.. أمازلت تكتب لها القصص التي ترويها لك ؟ أجاب ساخرا: نعم، وقد أرسلتهم جميعًا إلى دار نشر، وحظوا بإعجاب كبير،

ذلك الأمر الوحيد الذي تجيده من كل أمور الحياة، لكن مهلًا.. أخبرك أمرًا مضحكًا.. إنني أرسلهم تحت توقعيي أنا، وهنا تعالت أصواتهم بالضحك الذي كان له أثر طعنة بقلبها

مر علي ذلك عدة أيام، وذات يوم وحين.. جلست تقص عليه إحدي القصص كعادتها، قام بإحضار كأسين من العصير الطازج ووضع بكأسها نفس الجرعه من ذلك الدواء القاتل، قصت عليه سطورًا معدودة كتبها وقد تحمس للمزيد، لكنها توقفت فجأه وبدأت تتلوى، وبدا عليها الألم.. معدتي تؤلمني، ابتسم وهو يشعر بسعادة بالغة حين أكملت: أحشائي تتمزق، إن جسدي يرتعش ونبضات قلبي تتسارع، ما يمكن أن يكون هذ ؟ مازال يبتسم

بشدة، ولا يمنحها إجابة فأكملت: ساعدني رجاءً، ألا تشعر بي؟ تلاشت ابتسامته تدريجيًا وشحب وجهه وهب واقفًا، ثم أخذ يدور بالغرفة مرددًا: نبضات قلبي تتسارع، إن أحشائي تتمزق، أموت.. أنا أموت، ساعديني، فقالت بنبرة ساخرة: أهذا ما يحدث إذن عندما نزيد من الجرعة! جاءها صوته متهدجًا: ماذا تقولين ؟ ما قصدك ؟

اقتربت منه بهدوء يزيده تمزقًا وهمست بأذنه: كيف تكون نهايتك بيد فتاة بلهاء! إن لم تكن أنت الأبله! فجحظت عيناه حتى كاداتا تخرجان من مكانيهما ولم يقوَ علي الرد وسقط أرضًا.. حين جاءت الشرطة؛ عثرت علي ورقة بخط يد القتيل.. تحدث فيها عن عدم رغبته بالحياة، وتشوقه الشديد لرؤية العالم الآخر، وأن لديه رغبة شديدة بالانتحار.

تري متي قام بكتابة ورقة الإنتحار ؟! **بقلم / هند الشيخ**

ضَجِيجُ تَكَّاتِ السَّاعَةِ

تمر الأيام عليّ كدهور وأنا في تلك الحجرة وحيدًا، حتى و إن كان هناك من الأهل من يتناوبون لزيارتي.. زيارة أشبه بالروتين اليومي، وأسئلة هي نفس الأسئلة بملل شديد.. كيف حالك؟، ما الأخبار؟، هل تأخذ العلاج بانتظام؟، هل زرت الطبيب قريبًا؟

ونفس الإجابة تخرج مني عن طريق اللسان فقط، دون أي شعور ولا اكتراث، فأقول: أنا بخير.

رغم أني علي سريري منذ سنتين، كأن اليوم من أيام السنة هو سنة أخرى، ورغم الألم والمرض الذي قد استشرى دون أية رحمة، أقول دائمًا "أنا بخير" لكل سائل لم يستطع أن يفعل شيئا إلا أن يسألني عن حالي، مُظهرًا الود أو يدعوَ لي بدعوات بعدما ترك لي باقة ورد على المنضدة، متأهبًا لعودته من حيث جاء..هذا يحدث منذ سنتين ولكم أن تتخيلوا أن يعيش أحد مشهدًا واحدًا في سنتين، فيتكرر وكأن الزمن قد توقف عندي كما تتوقف لقطة حية بآلة التصوير الفوتوغرافي..

رغم أن الساعة بجانبي تتكتك لتحصي الثواني والدقائق والساعات.. رغم أن تكاتها تحدث ضجيجًا في رأسي، وصار قلبي لا علاقة له بتكات تلك الساعة مطلقًا.. كنت في أول موسم الشتاء.. وطلبت من أحد أفراد عائلتي أن يخرج الساعة من الحجرة، لأن الوقت عندي لا فائدة منه ولا قيمة

..الوقت لمن عنده حركة، لأن الحركة كما تعلمت قديمًا؛ هي التي تولد الزمن، ولولاها لم يكن

هناك زمن.. وبتطبيق ذلك على نفسي وأنا بلا حركة.. فيكون الزمن عندي متوقفًا لا وجود له.. فالنهار والليل عندي سواء.. ولما أخرجوا الساعة من حجرتي؛ شعرت بالراحة شيئًا قليلًا، لأنه ليس هناك شيء يذكرني بأن هناك زمن.. وارتحت من ضجيج تكات الساعة.. لأنتبه إلى تكتكة المطر على زجاج الشباك، والذي يشبه تكات الساعة مع الفارق حتى تكتكات مناقير العصافير

علي الشباك تشبهها.. لكنها أيضا تختلف.. والاختلاف كان يتمثل عندي في أن الساعة تذكرني بالزمن الذي لا فائدة منه عند من لا حركة له.. بينما تكتكات المطر ومناقير العصافير؛ تذكرني بالحياة.. فيتهلل وجهي فرحًا بأن هناك حياة في الخارج.. أبتسم حين أعود بذاكرتي للماضي، وأتذكر مشاهد الحياة وأستعيض ثبات حركتي منذ أن أصابني الشلل مع قرحة المعدة بحركة ذاكرتي.. أتحرك مع المواقف وأتخيلها حين أذكرها وأغمض عينيَّ فأمشي تحت المطر، متخيلًا تلك السيارة الآتية من بعيد يقودها أهوج بسرعة، تجعل بركة الماء تستهدفني لتغرقني بالماء والوحل.. وأتخيل أنني كنت علي موعدٍ مع حبيبتي في إحدى الكافيهات الفاخرة الدافئة ليلًا.. وأننا سنجلس خلف الشباك الزجاجي في الدفء، نتابع المطر في الخارج ونحن نحتسي الشاي أو القهوة معا ونتبادل الكلمات الرومانسية الدافئة والنظرات الباعثة على الحياة الحقيقية.. ثم أنا الآن متضجر.. غاضب مما فعله السائق الأحمق بسيارته، وحتمًا سوف أعود لأغير ملابسي ولم يعد لدي الوقت..فأهرول بسرعة عائدًا إلي البيت

كي أستطيع موافاتها في الموعد دون تأخير فأغير ملابسي، ثم أركض على حافة الطريق متجهًا إلي الكافيه.. لكني أنتبه فجأة عند سماع صوت أحدهم بالخارج، وأنظر إلي الجدران من حولي فأعرف أني مازلت في سجني المؤبد.. فتسح عيني بالبكاء كما يسح السحاب في الخارج بكاءه أيضًا.. ثم أتوارى حين يدخل أحدهم الحجرة علي ليسألني تلك الأسئلة.. كيف حالك؟.. ها أنت اليوم وجهك نضر و جيد عن أمس.. وهو بالطبع يقصد شيئًا غير الحقيقة ليواسيني.. ولا يعلم هؤلاء أن لمجرد تلك الأسئلة أشعر بالإزعاج..

بالليل ينزل ستار من الظلام على الحياة ليغطي كثيرًا من الموجودات، وتختفي الأسرار خلف الأبواب الموصدة وكل باب خلفه حكاية.. أظل ليلًا طويلا أفكر في الزمن الهالك والعمر النافق، وما زلت أحلل تكات الساعة التي لا يزال صوتها يصلني من الخارج من شدة الهجود والهمود.. فأتساءل عن تلك الساعة المستبدة كأنها هي سبب انتهاء العمر!

فكل تكة بثانية مع كل دقة قلب؛ تشكل الحركة في القلب والزمن عند عقارب الساعة حياة ووجود... وأن الموت اذا أتاني وهجم علي لا شك سأنتقل إلى زمن آخر غير الزمن.. يكون أبديًا بلا ساعة ولا تكات مزعجة لأن الحياة بلا نهاية.. ثم أتخيل تلك الساعة وهي تلتهم أعمار الناس وكأنها وحش قاتل، وسفاح خطير موجود بكل بيت دون أن يشعر به الناس.. أريد أن أخرج لهم وأصيح بأعلى صوتي "حطموا تلك الساعات" فهي ما تلتهم العمر التهامًا وتذكركم بأن لحياتكم نهاية وهذا مزعج جدًا في حد ذاته..

كل فترة يصطحبني الأهل معهم إلي الخارج لأرى الحياة وأنعم

بالتغيير.. وهذا بالنسبة لي كان أمرًا رائعًا.. وأظل أضحك معهم طوال النهار في المتنزهات والأماكن العامة، وأنظر من نافذة السيارة لأشاهد الحياة والأطفال والباعة والسيارات لأشعر بالحياة وبأني موجود.. لكن أسوأ ليلة تمر علي.. هي الليلة التي تلي هذا اليوم، فأظل في سريري أشعر بالألم النفسي لما يجول بخاطري أنني لست على قيد الحياة.. رفاهية النهار تنقلب بؤسًا بالليل، ومع التكرار؛ رحت أكره يوم الفسحة لكرهي للألم الذي ينتابني في نفس الليلة حين أعود..

فأظل قلقًا مضطربًا من ضجيج تكات الساعة

كُتبت في/ 18 سبتمبر2018 /

بقلم / محمد اسماعيل

العائد

وقف غريب فوق سلم طائرة مصر للطيران يهم بالنزول، وكانت كل مشاعره إيجابية، حتى أنه شعر أن مطار القاهرة الدولي يفتح له ذراعيه.

الطريف أنه وجد بوابة الجوازات مقسمة إلى جزئين؛ باب للمصريين مزدحم وغير منظم وأصوات عالية تصدر منه لاتستطيع تمييزها، وباب للأجانب هادئ، وأحد العمال لايكل من تلميع أرضيته وتنظيفه !

"مكتوب علينا الزحمة برا وجوا" قالها مبتسمًا بسخرية..

أنهى إجراءته وأخذ يبحث عن أخيه حسين عند بوابة الخروج، وبعد فترة جاءه شاب ملتحٍ بلحية طويلة شعثاء يلبس الجلباب الباكستاني القصير الأبيض مع بعض نقوش على الصدر، وسروالًا من نفس اللون والنوع وأخذه بالأحضان.

- الحمد لله على سلامتك معلش اتأخرت عليك كنت بصلي العصر..

اندهش غريب! فالصوت معروف لديه جيدًا، لكن من هذا الشخص الذى تفوح من ملابسه رائحة البخور؟! وأخذ يبحث داخل الذقن الكثيف حتى

وجد بقايا من أخيه حسين الوسيم ابن النكتة معبود النساء، ولكن واضح أن كل هذه المواصفات أصبحت في عداد الماضي.

- إيه يا ابنى اللي انت عامله ده؟!

اصطنع حسين الجدية والتجهم ثم قال:

- الحمد لله "يهدي من يشاء".

- وانا اللي عمال أحكى لأصحابى عن حسين اللي مشيّب البنات، ومحطم قلوب العذارى!

- أستغفر الله العظيم...

- ياترى لسه شغال فى السياحة؟!

- "يرزق من يشاء بغير حساب".. "ومن يتق الله يجعل له مخرجا".

استمر الحوار على هذه الحال.. غريب يحاول اختراق الشرنقة التي تكونت حول شخصية أخيه ابن النكتة خفيف الظل، تارة بالفكاهة، وأخرى بالأحاديث الجدية، ولكن بلا جدوي!

فردود حسين تدور في بضعة جمل محدودة لاتخرج عن "يرزق من يشاء، جزاك الله خيرًا، أستغفر الله العظيم.."

لم يكن غريب ليمانع في استعمال هذه اللغة أبدا.. فهذه الجمل محببة إلى نفسه وتشعره بالأمان، ولكنه لا يستطيع الوصول إلى حسين أخيه الحقيقي الذي كان يعرفه.. لقد خلق حاجزًا يمنع الوصول إلى قلبه!

وصلا إلى المنزل..

- إزيك يا أبوصميدة؟! قالها غريب بفرحة وحب، ثم حضنه وقبله ولم يضع أدنى اعتبار للفوارق الاجتماعية، فقد كان أبو صميدة بواب العمارة رجلًا طيبًا، وكان غريب يحبه ويعطف عليه دائمًا قبل سفره.

- أخبارك إيه وأخبار صميدة إيه ؟...

- صميدة في إيطاليا يابيه..

- إيطاليا؟! بيعمل إيه؟!

- بيشتغل هناك

- هو اتعلم إيطالى إمتى؟!

- لا يابيه مش مهم الإيطالي.. أصله شغال في المعمار..

- بس ده الإيطاليين بيشتغلوا في فرنسا وانجلترا وإسكندنافيا!

- واحنا نسد محلهم يابيه !

- وأخبار هريدي إيه؟

- هريدي في لبنان يابيه.

- بيعمل إيه هو كمان؟!

- بيشتغل في مطعم هناك.

- طب ده اللبنانين عندهم بطالة وبيسافروا ع الخليج علشان يشتغلوا!

- واحنا برضه نسد محلهم يابيه!

- سداد يا أبوصميده والله ! طب وعيوشة بقى؟!

- عيوشة مع جوزها في السودان.

- فيه إيه يا أبو صميدة؟! على أيامنا الناس كانت بتسافر الخليج تشتغل!

- الزمن اتغير يابيه..

- تصدق يا أبوصميدة إنى مش عارف اسمك الحقيقي لحد دلوقت!

- اسمى هاني يابيه..

- أنا كده عرفت العيال بيطفشوا منك ليه.. يبقى اسمك هاني وعمال تسمي هريدي وصميدة وعيوشة!

ضحك أبو صميدة، حتى أخذ يسعل بشدة وظهرت أسنانه، لاتتعدى ثلاثًا أو أربعة.. لونها ما بين البني والأسود..

- الله يحظك يابيه أول مرة اضحك من سنتين!

المسافة إلى الشقة التي يقطنها والداه؛ ثلاثة طوابق.. قطعها في أكثر من نصف ساعة، إذ كان عليه أن يُحيي جيرانه وأصدقاء طفولته.. وما أن دفع باب الشقة الخشبي ذا الفتحة الزجاجية (شراعه) واجتاز المدخل

وشاهد والديه بالداخل؛ حتى شعر وكأن آلة الزمن الأسطورية عبرت به إلى زمن آخر هادئ وبسيط وشفاف!

جلس غريب يشاهد التلفاز مع أسرته، بعد عشاءٍ جميل، تفوقت فيه الأم على نفسها في إعداد أشهى وأحب الأطعمة إلى قلب ابنها العائد من الغربة.

كان التلفاز يعرض ندوة عن المرأة، ويقود الحوار فيها إحدى المذيعات القديمات، يحوطها ثلاث سيدات متصابيات تعدت أعمارهن الخمسين وتقترب من الستين بهدوء، شعرهن منتصب مثل القنافذ، أو كأن صاعقة كهربائية أصابتهن جميعًا، والغريب أنهن كن سعيدات بهذا الشكل، ومن وقتٍ لآخر تتأكد الواحدة منهن أن تسريحة شعرها لم تتغير، بأن تمرر أصابعها بحركة روتينية خلال خصلات شعرها، ووجوههن ملطخة بكل ألوان الطيف بقصد التجمل.

كان الحوار منصبًا حول عجرفة الرجل واستعباده للمرأة على مر العصور، وكيف أن هذا هو الزمن الملائم للتخلص من هذه العبودية، وأنه لابد أن تتحد النساء للإعلان عن تحرر المرأة إلى الأبد من هذا المجتمع الذكوري المستبد!

غريب:

- لا إله إلا الله.. إيه الهبل ده؟! كيف يستعبد الرجل المرأة وهي منه وهو منها؟! هل يُعقل أن يضطهد الرجل أمه أو ابنته أو زوجته أو أخته؟!

الأم: الراجل والست مكملين لبعض طبعًا.

- والله إن هذه الحوارات والندوات ظاهرها العسل وباطنها السموم!

القارب ذو القائدين غارق لا محالة، حتى يتنازل أحدهما للآخر، وهذا لا يعني انتقاصًا من كرامة أو حرية، بل صون الكرامة والحفاظ على الحياء.

ثم لماذا ينبعث الشر والكراهية من عيون وأفواه هؤلاء النسوة؟! ألا توجد نساء أخريات أكثر سماحة وقدرة على تقبل الرجل كشريك في هذا الكون؟!

كان حسين يجلس بعيدًا عن الأسرة، وهو يتصفح إحدى كتب التفسير معطيًا جانبه لجهاز التليفزيون، ربما ليثبت لذاته وللعائلة أنه غير مكترث بهذا الجهاز المنحل، وقال دون أن يوجه كلامه أو نظره لأحد، وكأنه يفكر بصوتٍ عالٍ:

"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ" صدق الله العظيم.

ذهب غريب إلى الشرفة، حيث كان المنزل يطل على شارع عريض، ورغم ذلك تداخلت السيارات بسبب رجوع البعض عكسيًا مع تواجد بعض مركبات التوك توك السرطانية، يقودها صبيه لاتتعدى أعمارهم الإثنى عشر أو الثالثة عشر، وهناك أيضًا مايسمى بعربات الكارو، التي تتحدى الزمن والتاريخ.

تنهد غريب قائلا: أستغفر الله العظيم.

بقلم / ندي سمير

الفهرس

- إهداء.....٠٢
- اشواك الزنبق (رشا فوزي).....٠٣
- قصة بشري (محمد كمال).....٠٦
- برهان العارف (الشيماء قناوي).....١٠
- غفران (رشا فوزي).....٢٢
- غربة (عطا عفيفي).....٢٩
- مسلسل الإجرام للجميع (احمد فتحي رزق).....٣٤
- الحيرة (عادل حسن).....٤٠
- ذات الوشاح الأسود (يحي الجبالي).....٤٤
- رز بلبن (محمد الفلاح).....٥٢
- رقصة الفرح (الشيماء قناوي).....٥٧
- سنلتقي يوما (شيماء محمود).....٦٤
- سيدة القطار (خالد مجدي).....٧٢
- شفرة مورس (محمد العودي).....٧٨
- قاتل رغم انفه (محمد حسين).....٨٤
- إنتقام من العالم الأخر (شحاته سعد أحمد).....٩١
- قناع الموت (راضي عبد المقصود السيد).....٩٦
- نبض أخر (أحمد شوقي).....١٠٥
- وصايا العجوز (فاديا رمضاني).....١٠٩
- ولادة الأرحام إشاعة رائجة (جيهان حمدتني).....١١٥
- يوميات سمير (سمير الشربيني).....١٢٠
- هل جزاء الإحسان إلا الإحسان (محمد حمدي الشعار).....١٢٧
- وجع (اشرف غازي).....١٣٢

- البلهاء (هند الشيخ).....١٤٥
- ضجيج تكات الساعة (محمد إسماعيل).....١٤٧
- العائد (ندى سمير).....١٥١
- الفهرس.....١٥٨

حروف من نور

١٠ برج الاشراف شارع الهداية المريوطية فيصل الجيزة

"جمهورية مصر العربية"

الايميل yavinour@gmail.com

ت/ ٠١٠٠٨٢٨٩٦٦٧ (٠٠٢)